



باديء ذي بدء ان اقدم خالص الشكر الى
الاخوة الادباء الذين اصروا كمادتهم على ان يكون لي
شرف رئاسة الرابطة ، ولقد عهدت هذا التقدير الكريم
النزيل من اخوتي الادباء منذ وقت ليس بالقصير . وليست
ادري بعد هذا المستطیع ان اكون جديرا بهذه الثقة
المتجددة — وانا في شغل شاغل لا يجهله الكثيرون — ام
اني اعود كسالف العهد الى التقصير . وبهما كان الجواب
فانه لمن الواجب علي ان ابذل ما استطعت من الجهد
في سبيل خدمة الادب ، ومن اجل رفعة شأن الرابطة .

لقد برهن كافة الاعضاء مساء يوم الخامس عشر
من شباط الماضي على وعي رفيع نبيل فكانوا بحسب
مخلصين لرسالة الادب ، مترفعين عن كل ما يسيء الى
هذه الرسالة السامية المقدسة ، وانه لمن تحصيل
الحاصل ان اتول ان قضية الادب قضية ذات شأن عظيم
لدى كلية الامم وفي مختلف العصور ، فالادب معيار
حقيقي للرفق والتقدم ، والامة التي لم تنجب ادباء ولا
شعراء امة جاهلة جاهلة ، فبالادب تستيقظ الامم
وتتباهي ، وبالشعراء تهب الشعوب الى استنقاذ
حقوقها المهضومة من ايدي الغاصبين .

زار الشاعر العظيم المرحوم احمد شوقي «دمشق»
وهي ثن تحت نير الاستعمار الفرنسي سنة ١٩٢٦م
تصديده المشهورة التي انتظف منها هذه الابيات : —

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا
مشت على الرسم احداث وازمان
هذا الاديم كتاب لا كفاء له
رث الصحائف باق منه عنوان
بنو امية للانباء ما فتحوا
وللاحاديث ما سادوا وما دانوا
كانوا ملوكا سرير الشرق تحتهم
فهل سالت سرير الغرب ما كانوا
بالامس قمت على « الزهراء » اتبهم
واليوم دمي على « الفيحاء » هتان
لولا دمشق لما كانت طابطة
ولا زهت ببني العباس بفدان

كلمة يجب أن تكتب



بسم أحمد السقاف

سلي من راع غيدك بعد وهن
 أبين غواده والصخر فرق
 وللمستعمرين وإن الأنواء
 قلوب كالجسارة لا ترق
 رماك بطيشه ورمى فرنسا
 أخو حرب به صف وحمق
 إذا ما جاءه طلاب حق
 يقول عصابة خرجوا وشقوا
 دم الثوار تعرفه فرنسا
 وتعلم أنه نور وحق
 وللاوطان في دم كل حر
 يد سلفت ودين مستحق
 ولا يبنى الممالك كالفحاحيا
 ولا يبنى الحقوق ولا يحق
 وللحرية الحمراء باب
 بكل يد مضجرة يندق

للالدياء والشعراء ضيائر شعوبهم وتواجههم
 الادبي يصور بصدق — ان كانوا ملتزمين حقاً — الآلام
 والامال لهذه الشعوب ، وحدثني عن قصيدتي شوتي
 في هذا المقام حديث عابر ، فكلنا يعلم ما اضطلع به
 الادباء والشعراء في تاريخ كفاحنا الوطني الطويل وكلنا
 يعلم ايضا ما عاناه الادباء والشعراء من اضطهاد
 وتضييق عبر تاريخ هذا الكفاح ، فتورة فلسطين ما
 اندلعت على سبيل المثال الا بقصائد الشعراء
 المخلصين ، وبخطب الادباء الملتزمين ، وكانت وما
 زالت هذه الثورة تستبد قوتها وعنفوانها من الكلمة
 النظيفة الشريفة المؤمنة ، ومثل هذا يقال عن كفاح كل
 قطر من اقطار وطننا العربي الكبير وعما ادى الادباء
 والشعراء في هذا الكفاح .

ان قضية الادب سبقت في كل زمان ومكان المقياس
 الحق لوعي كل شعب من شعوب الارض ، ويخطيء
 من يمتد ان قضية الادب قضية سهلة يستطيع ان
 يضعها جنباً الى جنب مع أية قضية أخرى . فقضية
 الادب صعبة الى ابعد حدود الصعوبة ، ذلك ان بقدر
 أي شعب من الشعوب ان يتباهى بما احرز من تقدم
 او تفوق في كثير من الميادين بكل يسر بعد توافر
 الاسباب ، غير انه لا يستطيع ان يدعي ان لديه ادبا
 ذا شأن ما لم يكن هذا الادب قد جادت به العناية
 الالهية بعد مخاض حضاري طويل .

احمد السقا

مررت بالمسجد المحزون اسالته
 هل في المصلى او المحراب مروان
 تغير المسجد المحزون واختافت
 على المناير احرار وعبدان
 فلا الأذان أذان في منارته
 اذا تعاللى ولا الأذان أذان

والقصيدة لا يجعلها احد من العارفين ، فهي من
 القصائد الخالدة المجلجلة ، وبعد القائها علا التكبر في
 الجايع الاموي وخرجت التظاهرات ودارت المعارك بينها
 وبين المستعمرين الفرنسيين وغادر الشاعر العظيم
 دمشق في جنح الليل عائدا الى القاهرة وامتدت الثورة
 فشملت جميع المدن السورية وكان ما كان من ضرب
 دمشق بالمدافع وحرقت الكثير من المباني والمؤسسات ،
 وحين علم شوقي بما حل بدمشق نظم قصيدة عصماء
 تعد بحق من عيون الشعر العربي وهي بعنوان « نكبة
 دمشق » اقتطف منها هذه الابيات : —

سلام من صبا بردي ارق
 ودمع لا يكتشف يا دمشق
 ومعرفة اليراعة والقوافي
 جلال الرزء عن وصف يندق
 وبى مما رمتك به الاعادي
 جراحات لها في القلب عميق
 دخلتك والاصل له انتلاق
 ووجهك ضاحك القسمات طلق
 وتحت جنائك الانهار تجرى
 وملاء رباك اوراق وورق
 وحولي فتية غر صباح
 لهم في الفضل غايات وسبق
 رواة قصائدي فاعجب لشعر
 بكل محلة يرويه خلق
 غمرت اباءهم حتى نظلفت
 اتروف الاسد واضطرم المدق
 وضج من الشكيفة كل حر
 ابي من أمة فيه عتق
 لحاها الله آباء توالى
 على سمع الولي بما يشق
 يفصلها الى الدنيا بريد
 ويجملها الى الافاق برق
 وقيل معالم التاريخ دكت
 وقيل اصابها تلف وحررق



شموع على الطريق

تأليف الدكتور إبراهيم مكي



بمقدم
خالد سعود الزيد

فعلى تراث العرب كما هو في تراث كل الأمم حكايات وطرائف وقصص ، قد تكون غير هادفة في ذاتها ، ولكن قد يجد فيها القارئ الذكي ملحا او مغزى عميقا حينما يمتلك مقسرة كمقدرة كاتبنا في اقتناصاته الذكية وفي التفاتاته على ما حوله من واقع معاش كما صنع في مقاله (القابلية للتضليل) في النكتة الغائلة : (خطب احد الكهنة في جماعة يوما ثم حمل عليهم بقوله : اف وتف . ثم لم تسعه الذاكرة بشيء فاسرع قائلا : وجورب وخف . فقالوا له : وما

يتم الا بعد اطلاع ومعرفة ثم انهم بعد ذلك يتبعون ما يشعرون وما يضعون من لوازم ليعلموا مردود ما صنعوا للناس ونتائج ما وضعوا في المجتمع ليحفظوا او يضيفوا .

جمع الدكتور مكي بين دفتي كتابه مقالات نشرها في الصحافة المحلية . تحل في مجلها طابع النقد لآوضاع مختلفة من حياتنا الاجتماعية والسياسية والادبية في لغة سلسلة وطريقة في الصياغة مبتعة .

فلكتاب قدرة على الاستفادة من قراءاته وتوظيفها فيما ينفع الناس ،

جميل ان يعطى ذوو الاختصاص وجهة نظرهم في شجون الحياة وشتى شؤونها ، من موقع ثقافية حية متشعبة ، مصنوعة بخلفية من تراث امهم ، مشحونة من مستفاداتهم الحياتية وممارساتهم اليومية .

وصاحب كتاب (شموع على الطريق) هو من هذا الطراز . فهو رجل من رجال القانون والتشريعات البحرية، ورجال القانون كما نعلم هم اكثر الناس التصاقا بالحياة او هكذا يجب ان يكونوا . فهم المشرعون للناس ، والتشريع لا

جورب وخف ؟ فقال : هما واديان في جهنم . فرددوا بخشوع ، اللهم أجزنا من النار) .

وبعد حديث طويل تحدث فيه الكاتب عن ممارسات تضليل شعوب العالم الثالث عقب بقوله : (منسى تترك الشعوب أنه ما زال في جمعة المضللين الكثير من المعاني والتفسيرات للجورب والخف) .

ومعظمنا قرأ الحكاية التي رواها الشعبي عن الإعرابي الذي قام بسل الناس في مسجد باهلة . فامر له رجل من باهلة برغيفين ، وبعد أن تفحصهما الإعرابي وجدتهما صغيرين رقيقين ، فرمض أخذهما ومضى . ثم سأل آخرين ، فاعطوه رغيفاً ورجع كبيرين جديين ، فأكل رغيفاً ورجع إلى مسجد باهلة ومعه الرغيف الثاني ثم وقف خطيباً وقال وهو يذبح بذلك الرغيف الكبير الجيد إلى أهل باهلة : يا أهل باهلة ، استحلوا هذا الرغيف لخيركم فلعلكم أنجبوا خبزاً أفضل مما تأكلون .

معظمنا قرأ هذه الحكاية غير من ذا الذي أعارها منا الفنان أو أخذ منها معنى وعبرة ؟ إن كاتبها في مقاله (علاج يدوي لمشكلة الرغيف) تعرض لمشكلة ودوي الرغيف المتندبة ونوعيته المتردية وعالجها بأسلوبه المتع الطري ثم ربطها برغيف باهلة ثم علق بقوله : (رجاء أوجه إلى السذجين يسافرون كثيراً إلى بلاد فيها خبز كبير حسن ، إن يوالونا برغيف كبير حسن ... أصيل ... نستحل به خبزنا لنحسن نسله .. وجزاهم الله عنا خيراً) .

هذا بعض مما ورد في هذا الكتاب من كلمات قرأنا في كتب التراث والطرائف ثم ما زدنا على ابتسامة بعد الفراغ من قراءتها ، ولكن كاتبها الذي استلهم أن يوظف هذه الطرائف فيما يكتب للناس وأن يربطها بحياتهم ، ومشاكلهم اليومية . وإنه لرائع أيضاً حين يربط الماضي

بالحاضر من خلال كلمات قصيرة مقتضبة فيأخذ من تصريح للسادات في قوله : أن إسرائيل سريعة الاستجابة إلى المتغيرات بعكس العرب ، ولهذا فقد تستغل متغيراً دولياً لتشن هجوماً .

ويعقب الكاتب على ذلك بقوله : (وكلما كانت الدولة شديدة المرونة في الاستجابة إلى المتغيرات الدولية والمحلية كان ذلك دليلاً على حيويتها ... الخ ثم يربط ذلك بالاستجابة للمتغيرات في تاريخنا القديم كما فعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه واله حين عقد صلح الحديبية مع قريش بدلاً من أن يقاتلها أو يعود بلا شيء ، أو كما فعل أبو بكر الصديق حين رفض المساواة مع أهل الردة فقاتلهم والدولة فتية ... الخ . وقد يستغل الكاتب بيتاً من الشعر العربي القديم فيسقطه في معنى حديث كما فعل مع قول الجعفي : -

عقوا بسهم ثم قالوا صالحوا
يا ليتني في القوم إذ مسحوا الله

يقول الكاتب تحت عنوان (جبل سمعتهم بمسح الله) : (كان العرب يؤمنون بالشار والذي يتهاون منهم في الأخذ بالثأر يعدونه جباً . فإذا قتل من القبيلة رجل طوّل القاتل بدمه . ويحسد أن تجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء القاتل ويمرضوا عليهم الدية ، ويسألوا القويأبى الدم . فإن كان الولي قوياً حبياً أبى أخذ الدية واتسم على قتل القاتل وأما إن كان ضعيفاً خواراً وأراد أن يتصلح أو كان قوياً ولكن خصمه أيضاً كذلك ووجد أن الحرب ستكلفه ما لا يطيق فإنه يعزم على قبول الدية وقبول الصلح ، والصلح خير وأبقى .

ولكن المشكلة هي كيفية (إخراج الصلح) إلى حيز التنفيذ دون أن يتشكك الناس بشجاعة رئيس القبيلة وحكته .

يقول المؤرخون أن رئيس القبيلة المتخالف يقول بصوت عال ، أمام أنصاره ، موجه الخطاب إلى خصومه الذين يعرضون عليه الدية : يا بني وأنا وأبينا خالقنا علامة للأمر والنهي . فيقول الآخرون له : ما علامتكم ؟ فيقول : نأخذ سهماً فنركبه على قوس ثم نرمي به نحو السماء ، فإن رجع إلينا لمطخاً بالدم فقد نهينا عن أخذ الدية ولن نرضى إلا بالقود ، وإن رجع كما سعد فقد أمرنا بأخذ الدية وصلحناكم .

يقول الرواة : فما رجع هذا السهم إلا نقياً ، والاشعر الجعفي قتل له قريب وتصلح قومه بالطريقة إياها ، مع قاتليه ، وكان غالباً عن هذا الصلح .. فقال :

عقوا بسهم ثم قالوا صالحوا

يا ليتني في القوم إذ مسحوا الله

ثم يعقب الكاتب قائلاً : لا ندرى ماذا كان ينوي الجعفي أن يفعل لو أنه شهد مسح الله .. لأن الرواة لم يذكروا لنا شيئاً عن ذلك ولأننا نحن أيضاً ، نشاهد الكثير من مسح الله ولا نعرف ماذا نصنع لأن المخرجين اربع منا حيلة) .

وقد يتبع الكاتب معنى كلمة في الغواشيش مثل كلمة الفشوش والفشوش ومن معانيها (المتشعب) فيقول : (ويمكن أن توصف منطقة ما في العالم بأنها منطقة فشوش متى تشعب التفوذ فيها ... ويقال أمة فشوش إذا كانت سيطرة كل قطر مختلفة عن سياسة القطر الآخر .

وهناك النقاش الفشوش الذي يتشعب ويخرج عن جوهر الموضوع . أما الاغنية الفشوش فهي التي تتضمن كلماتها مقاصد شتى ، فرغم أنف النقاد الذين يقولون بوجوب وحدة القصيدة من الناحيتين العضوية والموضوعية ، نجد الاغنية تبسداً بالنظير للذة الوصال ثم تنتقل فجأة إلى الكلام عن الهجر الذي لا سبب

متعددها ، ولكنها صورة مصغرة عما في الكتاب من مقالات طرحها المؤلف على صفحات الجرائد المحلية يومية او اسبوعيا ليضع اصبعنا على مواقع من ادائنا وعللنا ومشاكلنا السياسية والاجتماعية والادبية والفنية بأسلوب ممتع ، ولغة سهلة واستفادة مما قرأ وعاشش بعين واعية راصدة وقلوب يفتق وفكر ذواق .

خالد سعود الزيد
— لندن —

حمل الدعوة الى الوعي والتفكير قبل ان تكون مهبطه فنية اقصى غاياتها تطبيق المعايير الفنية للتدق على انتاج الآخرين ثم الخروج باحكام قطعية بالادانة او بالثناء دون معرفة الاسباب ...
ونلاحظ هنا نزعة القانونيية ومشرية القضائي في قوله : (دون معرفة الاسباب) والدواع .
هذه كليات قد لا تكون وافية بحق كتاب (فثوش) ، متشعب المواضيع

له ثم تعرج على الشكوى من كيد العاذلين ثم يتقلب المؤلف السى ديوجين حاملا مصباحه يسير هائلا في الطرقات ... الخ) .
ويتنقل الكاتب الى الفعل (فث) فمن (فث القرية اي حل دكاها نقد يفتش التصلب اذا استقر على الكرسي ذابلا بلا هواء ... تعددت الاسباب و (الفث) واحد) .
وحين يتحدث الكاتب عن الحب والغناء الاسود يقول : (الحب نعمة من نعم الله على عباده .. والفهم السليم للحب لا ينبغي ان يحيد عن حكمة الله في خلقه . والحب تطلع للمستقبل بعين متفائلة .. الخ) .
ويخرج الكاتب بعده على الغناء فيقول (على ان المغنين العرب بانثوا في الالوة الاخيرة يكتثرون من اختيار شعر (التماسية) والنجيب وخيبة الالوة الاخيرة يكتثرون من اختيار الاسود القائم ... وكما بالفس المدمنون الحشيش والافيون بسدا الجمهور بالفس النواح وسائر ضروب الغناء الانسحاثي المنهاك) .

ثم يستل الكاتب من الماضي قولا ينسب الى اسحق الموصلي في الغناء ليعتب عليه : (ويبدو ان غناء اليوم قد اوثك كله ان يصبح من النوع الاول امني (النصب) النصب على المعنى الذي تصده اسحق وهو الغناء الذي يستعمل في المرائي والاحزان ، والنصب على المعنى الذي تلتصب الشاعر . وبخاصة ان هؤلاء المغنين المنسحقين لا يغنون لنا (ببلاش) .
وحديث الكاتب الذي ورد في ص ١٦٠ عن الادب بين الاحساس الفردي واحاسيس الامة دليل على وعي تام وجيد لمهوم الادب ورسالته في خدمة الاهداف العليا لامة ، او حديثه في ص ١٥٦ عن (فتاوى نقاد الادب) ودور النقاد في المساهمة في تقدم الفكر والادب على مستوى الجواهر حين يدركون ان مهمة الناقد الفكري والادبي في المجتمع المتخلف هي

مجلس ادارة جديد للرابطة وهيئة تحرير جديدة للمجلة

عقدت رابطة الادباء في الكويت في منتصف شهر فبراير الماضي اجتماع جمعيتها العمومية العادية حيث تقدم مجلس الادارة السابق بتقريره عن الاداري والمالي عن الفترة السابقة . واعقب ذلك اجراء انتخاب لمجلس الادارة الجديد ففاز بالاجماع الاساندة : احمد السقاف ، خالد سعود الزيد عبد الرزاق البصير ، خليفة الوقيان ، الدكتور محمد صالح المهيني ، عبد الله الدويش ، خالد عبد الكريم جمعة .

ولدى عقد اول اجتماع للمجلس الجديد المنتخب وزعت المسؤوليات الادارية فكانت التالي :
الاستاذ احمد السقاف : امينا عاما للرابطة
الاستاذ خالد سعود الزيد : امينا للسر
الاستاذ عبد الله الدويش : امينا للصندوق
الاستاذ عبد الرزاق البصير : عضوا
الاستاذ خليفة الوقيان : عضوا
الدكتور محمد المهيني : عضوا
الاستاذ خالد عبد الكريم جمعة : عضوا

كما تم اختيار هيئة جديدة لتحرير (اليان) ، وتشكلت هيئة التحرير من :
الدكتور عبد الله العتيبي : رئيسا للتحرير
الاستاذ خالد سعود الزيد
الاستاذ خليفة الوقيان
الاستاذ عبد الرزاق البصير
الدكتور محمد صالح المهيني
الدكتور عبد الله يوسف الفهيم

وبادرت هيئة التحرير لممارسة مسؤولياتها اعتبارا من هذا العدد ، ولا شك ان هذه التخرة من الانباء والمقررين ستكون خير سند وعضد (اليان) في طريقها الذي شقته لاداء رسالة الفكر الحر والادب والثقافة .



شعر: عبد الله سنان محمد

بمناسبة انتخاب الهيئة الادارية
احبديدة للرابطة

”عروة الياه الى بحاريجها“

طورا يخلق في الفضاء
ء مميزا .عن غبـره
ويحط حيناً في الخميل
فينتشى من عطره
هو ذلك الابد الذي
صقل المقول بفكره
واضاء للدينيا الطر
يق بنظفه وينثره
لحم يال جهدا ان يـ
نك ما يجش بصدـره
بالله رابطة الابد
يب اتعلمين بامرـه
وهو الذي حفظ الولا
ء ولم يحد عن سيره
باق على المهـد القديم
بحلوه وبمـره
لم يستهن يوما وحق
ك باليمين وقدره
نكت اليمين خيـاة
عظمى تشد بنحره
وقيت شرثها وايد
ك الاله بنصره

عبدالله سنان محمد
— الكويت —



الطير عاد لوكـره
فاعيد سالف عمره
والليل اذن بالرحيل
ولاح ساطع فجره
وكانما ملك الدنيا
والكون دان لامـره
وكانما هو في ظلا
ل الايك سيد طـره
بزهـور على افنانـه
زهو الملـك بقصره
شاد حسا من ثغر رنـه
حبقة سلافة خمـره
عانت له الايام با
سمة كسابق عصره
والماء عاد الى مجا
ريه يصـب بنهره
من بعد عام كامل
قاسى المزار بصـره
قلب الزمان له المجن
وقد اساء بمكره
حتى اذا انكشفت عن
اليمين غمة غدره
عاد الربيع له برو
نقه الانيق وسحره
ويحسنه وجهـاله
وينوره وينوره
والاخوان يظل يتحفه
ببسمـة ثغرـه

الالتزام



بقلم:
عبدالله زكريا الانصاري

بأبصارهم ، ويرموا ببصائرهم ، على الأصح ، بعيداً وراء حلول الالتزام ، ولسوف يتضح أن معناه الحقيقي بعيد كل البعد عن معنى الالتزام . إن المصدر واحد ، لكن المعنى مختلف . فالالتزام ترك النفس على سجيّتها لكي تعبّر عن رأيها وفكرها بكامل حريتها ، أي بغير إلزام أو تنزيم ، فالإلزام وجوب بغير إرادة أو قناعة ، والالتزام وجوب بإرادة واقتناع ، وشتان بين المعنيين .

إن الإلزام معناه إجبار وإكراه ، فانت عندما تكون لك الهيمنة والسلطة وتلزم إنساناً بعمل شيء ، أو قول شيء فمعنى ذلك أنك أجبرته وأكرهته على عمله ، أي طلبت منه أن يعمل على كره منه ، ولكن عندما تتركه على سجيّته ، وبكامل حريته ، فمعنى ذلك أنك تطلق له العنان ليعبّر عن رأيه وفكره بصديق وأمانة وإخلاص ، أي يعمل أو يقول ما يؤمن به وما يراه حقاً بقناعة تامة ورضى ، أي يلتزم بالقول والعمل حسب مشيئته ورضاه ، وبدون ضغوط أو إكراه من الخارج .

إذن فليس هناك غرابة أو استغراب إذا ما قلنا إن الالتزام معناه الصدق والأمانة والإخلاص ، واثرتنا أيضاً إلى الحرية وضرورة توفرها بجانب الالتزام ، لأن الحرية لا تكون مع الإلزام ، لكن ما هو نوع الحرية

سبق أن كتبت عن هذا الموضوع ، وتحدثت عنه ، وقلت إن الالتزام ليس إلزاماً ، واعتقد أن الذين كتبوا عن الالتزام كثيرون ، وكل كاتب كتب عنه أدلى بدلوه ، وأبدى رأيه ، ووضح فكرته عن الالتزام ، بعضهم أفاض وأطنب ، وبعضهم أسهب وأوسى ، وبعضهم أوجز واقتضب ، وبعضهم فلسف وتلفس ، وهكذا الناس آراء ومذاهب ، وأفكار وعقائد ، والالتزام موضوع يمكن أن يمتد به الحديث ويطول ، ويشتد ويتشعب ، ويدخل في شعب من القول قد تفيد وتغني ، وقد تشتت شعباً متشعبة يتوه معها الغاريء فلا يصل إلى هدف ولا إلى غاية .

إذن فما هو الالتزام ؟ هذا هو السؤال الذي لا بدّ من الإجابة عليه وإعطائه حقه من البيان والإيضاح . والواقع أننا لو أبعنا النظر ، وتعمقنا في مفهوم الالتزام ، وما يدل عليه ، لقلنا إن معناه الحقيقي إنساناً هو ، الصدق والإخلاص والتعبير عن معاناة النفس . كيف يكون ذلك ؟ نقول إن الصدق والإخلاص لا بد أن يدفعنا الإنسان إلى التعبير عن معاناة النفس بتعبيرها لا ليس فيه ولا غموض ، أي تعبيراً نابغاً من عقيدة راسخة ، وإيمان لا يتزعزع ، وربما يستغرب بعض الناس هذا المفهوم الذي نطرحه عليهم اليوم عن الالتزام ؟ لكن قبل أن يستغربوا طرح هذا المفهوم أو هذا المعنى الذي نسوقه هنا للالتزام عليهم أن يمتدوا

المطلوبة لهذا المقام ، والتي يجب أن نلتزم بها ؟
لا شك أننا نعرف أن معنى الحرية ، إنما هو ترك النفس للتعبير عن معانيها بالقول والعمل بدون قيود أو حدود ، على أن لا تؤثر هذه الحرية على حرية الآخرين . والغريب أن بعض الناس يتوهمون أن معنى الحرية هو إطلاقتها إطلاقة تامة دون حدود تحد منها أو قيود تقيد بها ، وهذا كما قلنا وهم من الأوهام ، واللغة نفسها تقول بعكس ذلك ، ولا بد لكل شيء في هذه الحياة من قانون أو نظام ، لأن الحياة نفسها تقوم على أنظمة وقوانين لا نهاية لها ، ولو اختلف أي قانون من قوانينها ، أو أي نظام من أنظمتها مهما كان هذا الاختلال بسيطاً لتغيرت معالمها ، ولأحدث هذا التغير ارتباطاً وفوضى لا نهاية لها .

إن الحرية التي نلتزم بها يجب أن لا تضر بحرية الغير ، لأن من معاني الحرية عدم الإضرار بحرية الآخرين ، فالحرية معناها أصلاً ، التجرد من الشوائب والميوب ، هذا هو قانونها ونظامها ، إن نحسن احترامها احترمنا الحرية ، وإن لم نحترمها أسأنا إلى الحرية ، وشوهنا مفهومها . فالحر بمفهوم لغتنا ، هو الذي لا تشويه شائبة من الشوائب ، أي التي من الزيف ، النظيف من أي كدر أو أوساخ . وليس الحرّ هو الذي يتصرف على مزاجه وهواه وإن أساء إلى الآخرين ، وذلك من أولئك الذين اتخذوا الحرية مطية يمتطونها ، ووسيلة لتحقيق مآربهم وأهوائهم . لا ، نقولها بملء الفم ، ليست هذه هي الحرية ، الحرية هي النقاء والصفاء ، هي الصدق والإخلاص ، هي الالتزام بمصالح المجتمع ، هي المحافظة على أنظمة الحياة وقوانينها ، هي خدمة الوطن بعيداً عن الخداع والزيف .

ونعود إلى الالتزام فنقول ، هل هناك التزام يؤدي إلى الإضرار بالآخرين أو بحريتهم ، وكيف يكون ذلك ، وما هي صورة هذا النوع من الالتزام ؟ لا شك أن الملتزم بمثل هذا الالتزام مجبر ، بل كره ، بل ملزم لإزماء ، أي أنه يبتسر بدون إرادته ، وبدون حريته ، وإلا ما باله يشوّه المعنى الحقيقي للالتزام المبني على الحرية ، المبني على نظام وقانون ، مبني على أنظمة الحياة وقوانينها ؟ والذي يعبر بدون حريته وإرادته ، لا يجز بصديق ولا بأمانة ولا بإخلاص ، والالتزام كما قلنا نابع من الإيمان والصدق والإخلاص ، وناتج من عقيدة راسخة ، وقناعة تامة ، والزام بفكر وراي يكامل الحرية بها تحمله من معاني سامية رفيعة ، ولا بد أن يكون الناتج في هذه الحالة النفسية لمصلحة عامة ، وليس لمصلحة ذاتية خاصة .

إن الأديب الملتزم بأدبه ، هو ذلك الذي يعبر تعبيراً صادقاً عن فكرة ناضجة ، وعقيدة ثابتة ، وراي حر ، راي يدل على صواب ، وعقيدة تخدم المجتمع ، وفكرة نيرة تساعد على حل مشاكله ، وفك عقده وقضاياه . والأديب الذي لا يلتزم إلا بخدمة مصالحه وقضاياه هو ، بغض النظر عن مصالح الآخرين ، ليس أديباً ملتزماً بالأدب بفهمه الصحيح ، ذلك أن الأديب ، مثل غيره ، عضو في المجتمع ، ولا بد أن يكون له دور فيه ، فما هو هذا الدور ؟ هل هو دور ذاتي محض ؟ نحن لا نقول بأن على الأديب أن يعمل ضد مصالحه ، فمصلحته لا تتناقض ومصالح مجتمعه ، وإنما نقول بأن على الأديب أن يكون عضواً فعالاً نافعاً يلتزم بخدمة مصالح مجتمعه ، فعمل خدمة مصالح المجتمع تتناقض وخدمة مصالح الفرد الذي يعيش فيه ؟ قد يخطئ بعض الناس فيظنون أن خدمة مصالح المجتمع قد تضر بمصالحهم الفردية ، ولا يعيرون اهتماماً لمصالح المجتمع ، وقد يعتقد البعض منهم أنه يخدم مصلحته الذاتية عندما يمتدّي على أحد أعضاء المجتمع ليهوي أو غاية ، وهذا بلا شك تشويه لمعنى الالتزام ، وتشويه لمعنى الحرية ، وعمل ليس فيه شيء من إيمان أو صدق أو إخلاص ، ولا يخفى أن الحقد شائبة من الشوائب ، وكذلك الطمع والفجرة ، والصد ، والكره والبغض ، وغيرها من الشوائب التي تشوّه معنى الحرية ، ولا تخدم المجتمع ، ولا تبيد الأديب ولا تنفعه ، والتمع المادي ما هو إلا ضرر إذا كان على حساب الآخرين .

والذي ينطبق على الأديب ينطبق على غيره في المجتمع ، مهما كان نوع عمله الذي يقوم به ويؤديه ، فهو جزء من نظام وجزء من قانون ، ولا بد من احترام أنظمة الحياة وقوانينها .

إن الالتزام الذي نؤمن به ، هو الالتزام السذي يهدف إلى الارتقاء بالمجتمع ، ويعمل على تلبية مطالب الأمانة ، ويرمي إلى خدمة المجموع ، ولا بد للفرد من أن يلتزم بقضايا أمانه ، ومصالح وطنه ، بالصدق والأمانة والإخلاص .

فهل نحن على حق في تعريف الالتزام بهذه الصورة وهذا التعريف ؟ وهل هناك اعتراض حيننا نقول بأن الالتزام يدل على الحرية في التعبير عن المشاعر والأحاسيس ، والتعبير عن المعاناة بالأمانة والصدق والإخلاص ، بالوسائل المشروعة التي حددها نظام الحياة وقانونها ؟

هذا ما كنا نود أن نقوله عن مفهوم الالتزام ودلالاته ، وكذلك مفهوم الإلزام الذي يناقض مفهوم الالتزام ، وإن كان مصدرهما واحداً .

عبدالله زكريا الانتصاري

الربع الخالي

بمقتضى
الدكتور

عبدالله
ديوسف الغنيم



نسبياً وهو كتاب « الفوائد في اصول علم البحر والقواعد » الذي وضعه في عام خمس وتسعين وثمان مائة من الهجرة النبوية .
وان كانت المصادر العربية القديمة قد اغفلت التسمية التي اوردها ابن ماجد والتي شاعت في كتابات المحدثين ، فان المصادر القديمة قد اطلقت على اجزائه المختلفة عدداً من الاسماء سنحاول الكلام عنها في هذه المقالة بعد ان نذكر شيئاً عن صفة الربع الخالي الجغرافية .

تشغل رمال الربع الخالي الحوض الممتد من جبال عمان شرقاً الى مرتفعات عسير وجبال اليمن غرباً ، وتحده من جهة الجنوب هضبة حضرموت ، ويتصل من

يعتقد عدد من الباحثين ان اسم «الربع الخالي» الذي يطلقه الجغرافيون اليوم على ذلك الحوض الرملّي العظيم الواقع في جنوب شبه الجزيرة العربية هو مصطلح حديث لم يكن معروفاً عند القدماء ، وانه ترجمة لكتابات الاوروبيين الذين سموه (The Empty Quarter) (١) لانه يشغل ربع مساحة شبه الجزيرة العربية تقريباً .. وربما يزداد شك الباحث حينما يرجع الى كتابات الجغرافيين الاتنميين كالاصطخري وابن حوقل والمقدسي والادريسي فلا يجد هذا الاسم في نصوص كتبهم ولا في خرائطهم .. غير ان هذه النسبية وان لم تكن موجودة في تلك المصادر القديمة فانها تسمية عربية وردت في مصدر احدث منها

جهة الشمال برمال الدهناء كما اشرنا من قبل ويتصل ايضا بشاطئ الخليج العربي عند سبخة مطى ، ويمتد منه ذراع يحاذي الساحل الغربي للخليج يعرف باسم الجائورة ، يصل في امتداده مدينة الجبيل شمالا . ويبلغ طول الربع الخالي ٧٥٠ ميلا تقريبا (١٢٠٠ كيلو متر تقريبا) ، وعرضه حوالي ٤٠٠ ميل (٦٤٠ كيلو مترا تقريبا) ويغطي مساحة تبلغ حوالي ٢٥٠ ألف ميل مربع (٦٣٠ ألف كيلو متر مربع) وهو اكبر امتداد رملي في العالم (٢) .

وعلى العكس من الاقاليم الرملية الاخرى التي لم يترك العرب نقا من انقائها دون ان يذكره في اشعارهم او في كتاباتهم ، فان المصادر العربية عجزت عن تكوين الصورة المأبولة لهذا الاقليم ، اذ جاء في تلك المصادر اساطير كثيرة لا نعلم مدى صحتها ، فمن ذلك ان ارض وبار - وتطلق على القسم الغربي من الربع الخالي - كانت اكثر الارضين خيرا واكثرها ضياعا واكثرها مياه وشجرا وتيرا ، فكثر بها القبائل حتى شحنت بها ارضهم وعظمت اموالهم ، فاشروا وبطروا وطمعوا ، وكانوا قوما جبابرة ذوي اجسام غلم يعرفوا حق نعم الله عليهم .. الى اخر الاسطورة .

وذكروا ان قرية وبار كانت لبني وبار وهم من الامم الاولى ، منقطعة بين رمال بني سعد وبين الشجر والمهرة ، ويمر من انحاءهم يهيجون على ارض بها قصور شديدة ونخل ومياه مطر ، وليس بها احد . ويقال ان سكانها من الجن ، لا يدخلها انفس الاضل . وزعم علماء العرب ان الله تعالى لما اهلك عادا وثودا سكن الجن في منازلهم وهي ارض وبار ، فحمتها من كل من يريد بها ، وانها اخضبت بلاد الله واكثرها شجرا ونخلا وخيرا واعذبها عنباً وتيرا وموزا فان دنا رجل منها عبدا او غالطا حثوا عليه التراب وان ابي الا الدخول خيلوه ، وربما قتلوه .. (٣) وفي هذا المعنى يقول الفرزدق :

**ولقد ظلت اباك يطلب دارما
كضلال متيسر طريق وبار (٤)**

ونستخلص من هذه الروايات ان العرب الذين توغلوا في هذه المنطقة قد راوا بعض الابنية الاترية ، التي ما زالت بقاياها تنتشر على هوامش هذا الاقليم بالقرب من امارة وادي الدواسر ، وفي واحة بيرين ، فكانت هذه الآثار هي الاساس الذي نسجت حوله تلك الاساطير ، اذ ملاها خيالهم بسكان من الجن يعيشون وسط الاتهار التي تجري تحت اشجار النخيل والكروم والموز وغيرها . ومن جهة اخرى فان لهذه الاساطير جانبها

الاجباي ووجود الآثار في هذه المنطقة دليل على سكنى تلك المنطقة في فترات تاريخية سابقة ، وربما كانت تلك الفترات تتوافق مع الحضارات الزراعية التي سادت بلاد اليمن في القرون السابقة .

وبجانب ما اورده المصادر العربية من اساطير عن هذه المنطقة ، اشارت تلك المصادر الى بعض القبائل التي ترد على هذه المنطقة ، كما اوردت بعض التسميات التي كانت تطلق على اجزائها المختلفة . وسنأتي فيما يلي على اهمها :

رمل يبرين :

يطلق هذا الاسم على الجزء الشمالي الشرقي من الربع الخالي نسبة الى واحة يبرين الواقعة في ذلك الطرف عند التقاء خطي الطول والعرض ٢٣°٥٠ شمالا ، ٤٩° شرقا تقريبا ويطلق على هذا الجزء ايضا رمل بني سعد نسبة الى القبيلة التي كانت تسكن تلك المنطقة ، وهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، التي امتدت مواطنها الى قطر وعمان والساحل الغربي للخليج العربي حتى البصرة (٥) .

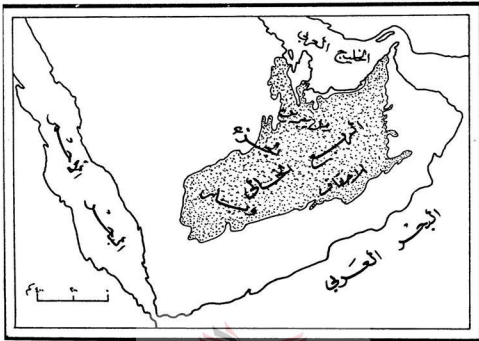
وقد تطلق هذه التسمية - رمل يبرين - على كل النطاق الرملي الجنوبي المعروف بالربع الخالي ، فقد ذكر البكري ان حد اليمن مما يلي المشرق رمل بني سعد الذي يقال له يبرين ، وهو منقاد من الياهمة حتى يشرع في التغير على حوضهم (٦) . ولقد ذكر ما نقله عن العربي في تعليقه على حديث النبي صلى الله عليه وسلم « شفاعتي لأهل الكبائر من أمي حتى جاء وحكم » انها حيان باليمن في اخر رمل يبرين وهو على قوله حد اليمن (٧) .

وبار :

وتطلق ايضا على جزء من المنطقة التي شملها التعريف السابق ، فقد نقل البكري عن الخليل بن احمد قوله عن وبار انها كانت محلة عاد وهي بين اليمن ورمال يبرين (٨) وحددها الهمداني بقوله ، وفي اليمن ارض وبار وهي فيما بين نجران وحضرموت وما بين بلاد مهرة والشحر (٩) .

الأخفاف :

ولا تزال هذه التسمية معروفة حتى اليوم ، وهي التسمية الوحيدة التي ظهرت على الخرائط القديمة ، فقد اثبتها الاصطخري وابن حوقل في خرائطها (١٠) وتختص بالجزء الجنوبي من الربع الخالي ، وبخاصة تلك الرمال المتاخمة لبلاد عمان وحضرموت ، اي النطاق الجنوبي من الاقليم . وقد اسهب القدماء في بيان موقع الاخفاف لوروده



(١) - Harriss, T. F. and Barger, J.C. (1938):
Geology of the Rub al-Khali and Adjacent Portion of Southern Arabia. Ged. Rep. No. 21, AL-Khabar, Saudi Arabia, P. 18.

ومحمد مضمون الصياد : «الربع الخالي» - مجلة مرآة العلوم الاجتماعية ، العدد الأول ، السنة الخامسة القاهرة ١٩٦١ ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) - ARAMCO Hand book (1968): Arabian American Oil Company, Dhahran, Saudi Arabia, P. 215.

(٣) ياقوت : معجم البلدان : (٤ - ٨٩٧)
(٤) أبو عبيدة ، معمر بن النخعي : نقل عن جرير والفرزدق ، تحقيق بيسان ، لندن ١٩٠٥ ج ١ ص ٣٢ .

(٥) البكري : معجم ما استعجم (٨١ - ٨٢)
(٦) المصدر السابق : (١ - ١٦)
(٧) المصدر السابق : (٤ - ٢٨٦)
(٨) المصدر السابق : (٤ - ١٣٦٦)

(٩) ياقوت : معجم البلدان : (٤ - ٨٩٦)
(١٠) الاسطخري : المسالك والممالك : ص ٢٠ وابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٨ .

(١١) معجم البلدان : (١ - ١٥٤)
(١٢) نصر بن عبد الرحمن الاسطخري : كتاب التكنة ، مخطوط بالمخطف البريطاني ، رقم ٢٣٦.٢ ، ورقة رقم ٤١ .

(١٣) معجم البلدان : (٣ - ٥٨٥)

في الكتاب العزيز ، فذكر ياقوت عن ابن عباس ان الاحتاف واد بين عمان وأرض مهرة ، وقال ابن اسحق : الاحتاف رمل فيها بين عمان الى حضرموت . وقال قتادة : الاحتاف رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن وعقب ياقوت ان هذه الاقوال غير مختلفة في المعنى (١١) .

رمل الجَزء :

رمل الجزء بين الشحر ويبرين ، طوله مسيرة شهر تحله أنفاء القبائل من اليمن ومعد ، وعامتهم من بني خويلد بن عقيل ، سمي بذلك لان الإبل تجزا فيه بالكلأ أيام الربيع فلا تَرِد الماء (١٢) .

ومما تقدم يمكن القول انه لا يوجد تعارض كبير بين هذه التسميات ، فالأولى وهي « رمل يبرين » او « رمال بني سعد » تطلق بوجه خاص على القسم الشرقي والشمالي الشرقي من الاتاليم . و « الاحتاف » ما صانق حضرموت وقارب حضبتها ولا يزال الاسم مستعملا هناك . و « الجزء » يطلق على القسم الشمالي الغربي جنوب وادي الدواسر ، حيث ينقطع العارض (١٣) (جبل طويق) أما « وبار » فتطلق على القسم الغربي منه المتاخم لبلاد اليمن .



الحيرة

ردوا علي ملاحي وصفاتي
يا من ذهبتم بالذي هو آتي
يا سادتي ردوا علي براعتي
وحصافتي ردوا علي صلاتي
ما هكذا وجهي ولا كانت يدي
تحتي ولا الذات المريضة ذاتي
ما عدت اعرف كيف ابغ منزلي
منذ اختبائتم في جميع جهاتي
ردوا علي نقاء انفلاسي فقد
علق القبار باضلمي ولها تسي
ردوا علي الوقت كي ادري متى
ترتد روحي او تحين وفاتي
بين النهاية والبداية خطوة
ضاعت بها الالاف من خطواني
ما زلت اطوي الليل محتطبا به
والتيه يطوي رحلتي وشناتي
حتى ارتويت ولست اذكر ما الذي
قد كنت افدي وصله بحياتي
فانا المضيع في زمان ضائع
والسيل يجرف للضياع هداتي



يعقوب السبيعي
— الكويت —

الشاعر الدكتور عبدربه بدوي

يفوز بجائزة الشعر

الأدبي والمنوي الذي ناله رئيس تحريرها الدكتور عبده بدوي وتبني للزميلة « الشعر » كل تقدم وازدهار ، ورئيس تحريرها الدكتور الشاعر مزيداً من التقدير والمجد في سبيل السمو والارتقاء بأدبنا العربي إلى الكانة التي يستحقها ونسعى لتحقيقها جميعاً .

ومجلة « البيان » وهي تقدم اليوم الدكتور الشاعر عبده بدوي لقراءها الكرام ، من خلال أطواره العام إذا جاز التعبير فهي تعد القراء الكرام بتقديم الدراسة التي يستحقها هذا الشاعر العربي الكبير .

يسر مجلة « البيان » ، مشاركة الزميل الشاعر الدكتور عبده بدوي - رئيس تحرير مجلة « الشعر » المصرية - سعادته بهذا التقدير الذي منحه إياه ، المجلس الأعلى للفنون والآداب بمصر وذلك باستحقاقه جائزة الشعر عن ديوانه « السيف والورد » فهو أهل لمثل هذا التقدير والتكريم ، لما له من أثر فاعل ومؤثر في مسيرة شعرنا العربي ، خلقاً وإبداعاً ، ودراسة وتقويماً .

ومجلة « البيان » بدورها تشارك الزميلة القراء مجلة « الشعر » المصرية ، سعادتها بهذا التقدير

الدكتور عبده بدوي :

عبر عن هذا في مفتتح ديوان السيف والورد فقال
« .. حين ترتفع هذه الدواوين أمامي أحس المرارة
الحلوة ، والحنن السعيد ، والبهجة الرمادية ، فقد
كان الشعر دائماً عزائي في عالم لا عزاء فيه ، وكان
كالم الذي ينبثق في نشوة وآلم وغيبوبة ، وكثيراً ما
أقول : ترى لو وفرت على نفسي كل هذا الشجن ماذا
كنت سأصبح الآن ؟ ترى لو دفعت بتفاحة قلبي بعيداً
عن هذا النقر التاري المتتابع من منقار الشعر أما كنت
الآن أوفر عافية ؟ وأكثر قدرة على الانسجام مع الحياة ،
وأقرب ما أكون إلى المحاسنة والبرونة ، وأبعد ما أكون
عن هذا الشيء الشاخص أبداً والذي يسمى الشعر كما
يسمى الموت ، فكل منهما قاس وخفى ، وكما يبسط
عجاة يفارق - يا ويلى - فجأة ؟ »

✽ معار من قسم اللغة العربية بأداب عين شمس
إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب والتربية جامعة
الكويت ، ورئيس تحرير مجلة « الشعر » .

● حصل من أيام على جائزة الدولة في الشعر من
المجلس الأعلى للفنون والآداب عن ديوان جديد له
اسمه « السيف والورد » كما حصل في أواخر عام
١٩٧٧ على جائزة الأبحاث الممتازة لأعضاء هيئة التدريس
بآداب عين شمس عن كتاب جديد له بعنوان « في
الشعر والشعراء » .

● من الذين يبدعون بغزارة في صمت ، فقد صدر
ديوانه السابع بعنوان « دقات فوق الليل » عن وزارة
الأعلام بالجمهورية العراقية في مفتتح هذا العام ، وقد

ومع هذا فهو « ملك الملوك .. يحيى كما يقتل »
ويقتل كما يخصب ، فإذا ودعنا — نحن الشعراء —
نكاد نتردى له من الجبال ، وإذا جاء فينا من يحسبه
لجة ويكتشف عن ساقيه ، وينا من يهرول لعلنه يأتي
« بخير أو جذوة ! » .. والسعيد السعيد من ينادى من
شاطيء الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ،
فتتوالى عليه المعجزات تصيدة بعد تصيدة ، وديوانا
بعد ديوان !! » .

● ولا يفت دور الشاعر الدكتور عبده بدوي عند
هذا العدد من الدواوين ، ذلك لان له عملين رائدين في
الحركة الشعرية الحديثة لم يسبق اليهما ، فقد كتب في
عام ١٩٦٦ أول أوبرا افريقية تتحدث عن مشكلة الارض
والانسان بعنوان « الارض العالية » وقد أخذت صورتها
الموسيقية على يد الموسيقار الإيطالي فينوترويو باربري
والملحن المصري سليمان جميل .. كما انه كتب أول
نص لما يسمى « القصيد السيغوني » بعنوان « محمد »
في اللغة العربية ، فهو من الذين يجددون الشعر العربي
من غير ضجة .. وبدون افتعال .

● له تسعة عشر مؤلفا منها : —
الشعر الحديث في السودان ، الشعراء السود
وخصائصهم الشعرية ، السود والحفارة العربية ، مع
حركة الاسلام في افريقية ، أبو تمام وقضية التجديد في
الشعر ، في الشعر والشعراء ، دراسات في النص
الشعري .

● كان مسئولاً عن مجلة نهضة افريقية في الفترة
من ١٩٥٨ — ١٩٦٤ ، وعن مجلة الرسالة في الفترة من
١٩٦٤ — ١٩٦٦ .

● عضو بالمجلس الاعلى للفنون والاداب .
● عضو بالمجلس الاعلى للثئون الاسلامية .
● عضو مجلس ادارة اتحاد الكتاب .
● مثل بلاده في مؤتمرات الادباء ومهرجانات
الشعر في العالم العربي وخارجه .
● يرأس الان تحرير مجلة « الشعر » التي لها
جمهور واسع في العالم العربي .

« البيان »

الغروب والموحور

للدكتور عبده بدوي

لم توقد لؤلؤة في حضن السقف
لم تزرع مروحة في حقل الصيف
لم تتسلل الا حرفاً من حرف
في ضوء « كريستال » الكف !
قالت : تكفي باقة ضوء في الاهلاب
قمر مذ جننا يبحث عنا — في فرح — من ثقب سحب
قارورة نور تخفي ضحكاتها في الاكواب
يكفيها همس من « دنلا » الاصوات
وبقايا من بعض « الكونشرتات »
تحكي في صوت مسحور وسعيد
عن ليلة حب في « مترويد »

●●●

قالت — من بعد دقائق في صمت —
هذا بيتي ..
الدخل نمنانه من رسم في مخطوط عربي
والسور انهامس جهنانه من عطر باريصي
والسلم ملفوف بضغرة موسيقى
في اخرها وردة !
.. وقريبا كانت ازهار خجلي من ازهار الاوركيد
وبقاي من « فالس الدانوب الازرق »
في السمع بعيد .

●●●

في هذه الليلة

صديق الامس

ترامى الشفق المقتول في الافق
دما ، والليل كفسان ...
يوسد عالم النور
يتأبوت من المعتمه
ويقتل بسمه الزهر
ويمشي وهو جذلان
لينثر في الحصى نجمه !

●●●
عجيب انت يا ليل
تقوم في الملمات
لمن يسرق تياها
متاعا كان أم قبله
أبقال وسميسار !
تبيع العطر للتسبه !
وتخفي سر من خانوا ...

●●●
اتعرفني ؟؟
صديق الامس والكاس
على صدرك مسفوح
وهولي صبحه الخير
وقلي لك : - مفتوح
انا جيك بلا حشمه
فيضحك كل من كانوا ...

●●●
اتعرفني ؟ !
هجرت الكاس والشعر
واطبقت على الصزن
وحيدا لا الزرافات
ولا الوحيدان في اليمن
معي والقلب في ظلمه
يجمع وهو ملان !



شعر
عبد المجيد
لطفي



ويبطه فارت اشواق في اقداح الليل
فاذا ماسات سوداء تتناثر
قصص من بغداد العصر الغابر
.. واذا الوان نمسكها بالكفين
الازرق ، والوردي ، ولون بين اللونين
.. واذا اشواقى ترحف .. تدعوني هيسا
فلتصبح هذي الليله للكون العرسا
.. هذا ليل من غير حدود
فلتقفز في هذي الساعات سدودا بعد سدود !

●●●
وتغيب قليلا .. ثم تعود كطيف سحري وسنان
من خلف « بيان »
وتقول : ابست لاجلك هذا القستان السكران
وجعلت لشعري - وهو حبيبك - وقتا أكثر
حتى يتغنى تحت الكف ويهر
شلال العشق الاصفر .
.. وتقول : سقيت لاجلك هذا الحوض من الياسين
ونهارا من ارض الكونغو
حتى لا تنسى افريقيا حبك
حتى لا تنسى اتي لك
في داخل احدي حلقات السود
حيث الدنيا طبل مشدود
رقص مشدود

●●●
هذا حلم لا ياتي الا مرة
في هذا العمر المكتود
.. هذا ما سمي في الشعر قديما
الفردوس المفقود
.. لكنني القاه الليله
الفردوس الموعود !

د. عبده بدوي



الشاعر في الفلسفة الوجودية

ARCHIVE
<http://archivebeta.sakibn.com>

كما تصور سارتر

بقلم: حامد طاهر

للإنسان من التفرقة بين مصطلحين أساسيين هما الوجود والمكين . فالإنسان يوجد أولا ، ثم يكون ثانيا . ومن هذا الكون تتحدد ماهيته ، وتبرز قيمته ، ويمكنه أن يضع نفسه في المكان الذي يشارك به في صنع الحياة الإنسانية داخل المجتمع . أما الإنسان الموجود فلا يفتقر عن سائر أنواع الجباد والنبات والحيوان . فقط . . في اللحظة التي يشعر فيها هذا الإنسان الموجود بوجوده ، ويعي ذاته ، ويختار لنفسه مصيره ، يتحول الى إنسان كائن ، جدير بأن يكون عضوا في المجتمع الإنساني . ثم أن هذا الاختيار يفترض حرية . والحرية في المذهب الوجودي مطلقة . . حتى أمكن القول بأن

من الطبيعي ألا تتعرض هذه الدراسة للوجودية في تاريخها ومبادئها وتطوراتها ، ومع ذلك ، فمن الضروري أن تبدأ بعرض موجز وبسيط (١) ، يتيح للقارئ أن يتصور الاطار العام الذي يحدد هذا الموضوع .

الوجودية تتناول وجود الإنسان في واقع المحسوس ، وعلى مستوى الفرد الملتزم داخل المجتمع ، ومن هنا فإنها تتعارض مع مذهب ديكارت Descartes بصفة خاصة ، ومع كل المذاهب العقلية الأخرى بصفة عامة . أنها عبارة عن رد فعل ثابت به فلسفة الإنسان ضد فلسفات العقل أو الأفكار . وهي تنطلق في صورتها

« الإنسان محكوم عليه بأن يكون حراً » .. وأخيراً ،
فإن لحظة الاختيار ليست بالامر السهل ، إنها
أزمة قلق ميتافيزيقي من ناحية ، وشعور بعدم الثقة
في نجاح الاختيار من ناحية ثانية .

وللوجودية مدارس متنوعة ، امتزجت بعضها
بالمسيحية ، وانفصلت الأخرى عنها . ويمثل جان بول
سارتر الجانب الثاني ، نازعا إلى نوع من الوجودية
ذات الطابع المتحرر ، الذي حاول أخيراً أن يحكمه
بنوعين من الضوابط ، هما : **الالتزام والمسؤولية** (٢) .
كتب سارتر عن شاعر الرومانتيكية الفرنسي
بودلير دراسة غنية (٣) قام فيها بتحليل الأحداث التي
تعرض لها الشاعر ، والإقوال التي تركها ، والتقصائد
التي كتبها من وجهة نظر وجودية ، أي أن هذه الدراسة
تعتبر نموذجاً تطبيقياً لتصور الفلسفة الوجودية للإنسان
الشاعر .

وغني عن التأكيد ، أن دراسة سارتر لبودلير
تتضمن الكثير من مبادئ علم النفس وعلم الاجتماع
في تطورها الأخير ، كما أنها لا تغتدق حسم النقد الأدبي ،
ولا دقة التحليل اللغوي ، التي تعتبر كلها .. عناصر
أساسية في ثقافة الناقد الأدبي .

أطلق سارتر على دراسته عنوان « بودلير » ..
مشيراً منذ البداية إلى أنه سوف يتناول الإنسان
والشاعر في وقت واحد ، أو بمعنى آخر ، سوف يتناول
الشاعر من خلال الإنسان ، وليست الدراسة « مسيرة
أدبية » بالمعنى المعروف ، وإنما هي عبارة عن « معايشة
من الداخل » (٤) ، أي أنها تعطي للشاعر الداخلي
اهتماماً أكبر مما تعطيه للأحداث الخارجية ، ولا يأتي
تصوير هذه الأخيرة إلا بالقدر الذي تؤثر به على تلك
المشاعر .

إن دراسة من هذا النوع أن تنجح ، قبل كل
شيء ، في وضع المسلمات — المستخلصة بالطبع من
قراءة عينية قبلية — ثم تحاول تطبيقها على العناصر
الموجودة بالفعل . وهكذا نجد الإمتاحية تبدأ على هذا
النحو : « لم يجد بودلير الحياة التي يستحقها .. من
هذه المسئلة الواسية ، ترسم حياة بودلير بصورة
رائعة » (٥) ثم يشرع سارتر في التعميل : أن بودلير
لم يكن يستحق تلك الأم التي أقدمت على الزواج بعد
إبيه المتوفى ، وصغيرها ما يزال في السادسة من العمر ،
ولم يكن يستحق ذلك الشقاء المستمر الذي عاناه طول
حياته ، ولم يكن يستحق مجلس العائلة الذي ظل وصياً
عليه بصورة رهيبية ، ولم يكن يستحق تلك العشيقية
اليهودية البشعة ، ولا مرض الزهري وأخيراً ، لم يكن
يستحق تلك المنية التي عاجلته في فترة مبكرة من العمر .
في علاقة بودلير بأبيه ، تلك العلاقة التي صبغت
كل مراحل حياته بلون خاص ، يبرز سارتر « عقدة

أوديب » وأثرها على الصغير بودلير ، المتعلق روحياً
وجسدياً بأبيه ، وهو يستشهد بقول بودلير نفسه في
أحد خطبائه لاه : « لقد كنت دائماً حياً فيك .. كنت
لي وحدي .. كنت في وقت واحد : صمى وزميلي » (٦) .
اعتبر بودلير ، الطفل الوديع ، أن حقه في أمه
حق الهي ومقدس ، لا ينبغي أن يسلبه أباه أي مخلق .
وعندما تزوجت من ضابط ، وجد أن هذا الرجل قد
اغضب منه أعز ما يملك ، لذلك ظل ناقماً عليه
كمغتصب ، وعلى أمه كخائنة ، وتمثل منطق الصارم
على هذا النحو : « عندها يكون لامرأة طفل (مثلي) ..
فلا ينبغي لها أن تتزوج ثانية » . (٧)

كانت هذه هي الصدمة الأولى والعظمى في حياة
بودلير كلها .. الصدمة التي جعلته يحس بوجوده ،
ويشعر بأنه كائن .. وهنا كان عليه أن يختار .. يختار
الموقف الذي يتخذه أمام نفسه وأمام الآخرين . وبالنسبة
لإنسان — شاعر مثل بودلير ، فقد كان اختياراً أصعب
مما قد يكون عليه لدى غيره . كان عبارة عن مفارقة
غريبة كلفته الكثير ، وأزمته أحياناً بالمستحيل ..

أخار بودلير أن يتغاضى عن نزيف ذلك الجرح
الغائر ، الذي أحدثته أمه في قلبه ، وقرر — بكامل
حرية — أن يظهر للناس ، كما لو كان إنساناً آخر ،
غير بودلير الحقيقي ، فكان الاحتقار والضيعة والزهو
.. هي الوجوه المختلفة التي حاول بودلير أن يتقن بها
نفسه الوديع التواضعة الطيبة .. لكنه أجهد نفسه
في أن يتقمص تلك الشخصية الأخرى ، وأن يجعلنا
نعتقد أن هذا « البودلير الجديد » هو نفسه بودلير
الحقيقي .. وفي الواقع .. لم تكن حياته إلا قصة هذا
الفشل !

مسألة أخرى يطرحها سارتر ليفسر بها موتها
أساسياً في شخصية بودلير ، تتمثل في أنه شخص مائل ،
دائماً على نفسه ، مثل « نرجس » يقول سارتر :
« بالنسبة لنا — نحن الآخرين — يكفي أن ننظر إلى
الشجرة أو المنزل ، وكل شيء يذوب في تأملها ، ثم أننا
ننسى ، أها بودلير ، غاته الإنسان الذي لا ينسى أبداً
.. أنه ينظر ليؤري ، وبعبارة أخرى ، أنه ينظر ليؤري
أنه ينظر .. والإشياء في عينيه باهتة وضئيلة وغيمر
مؤثرة ، كما لو كان ينظر إليها من منظار صغير ، ثم أنها
لا تتطابق مع بعضها البعض ، كما تشير الأسماء إلى
الطرق ، أو العلامات إلى الصفحات .. وإنما مهمتها
الأساسية — لدى بودلير — هي أن تعيد وعيه إلى
نفسه ، وهو ذاته يصرح بذلك قتيلاً : « ماذا يهم الواقع
الخارجي ، إذا لم يساعدني على أن أعيش ، وأن
أحس : من أنا ، وماذا أكون » ويقول في « الفن
الرومانتيكي » : « ما هو الفن الخالص في التصور

الحديث ؟ — انه خلق سحر ابحاثي يحتوي ، في وقت واحد ، على الموضوع والذات ، العالم الخارجي عمن الفنان ، والفنان نفسه » (٨) . ان قيمة الاشياء لا تكن في ذاتها ، عند بودلير ، وانما بالقدر الذي تتيح له ان يتأمل في نفسه . . وهو ينظر اليها !

لكن شدة وضوح الاشياء قد يكون ، احيانا ، مساويا للعمى . وقد نظر بودلير كثيرا في داخله ، الامر الذي قلل لديه من قيمة العالم الخارجي ، ومن ناحية اخرى ، فرض عليه ان يكون شخصين ، لا شخصا واحدا . يقول في « زهور الشر » .

— وجهها لوجه ، مظلم ومصف

اصبح القلب مرآة لنفسه ! (٩) .

والواقع انه لا يوجد الا « وجه واحد » . ويقول ايضا :

— انا الجرح ، والسكين ..

الضحية ، والجلاد ! (١٠) .

فهو هنا يحول الشعور المتأمل الى سكين ، والشعور المتأمل فيه الى جرح ، مع انها ليسا سوى شعور واحد . فالتماثل لا يمكن ان يتحاب مع نفسه ، ولا ان يحقد عليها . . ولا ان يذبحها على هذا النحو . اما بودلير فقد حاول ان يكون كذلك . وحفاظا على المصطلحات الوجودية نقول : اختار لنفسه هذا الموقف ، اي ان يرى كما لو كان شخصا آخر .

كان لدى بودلير شعور قوي بعدم جوارحه . وقد حاول الانتحار ذات مرة . . لكن سارتر لا يرى في تلك المحاولة نية بودلير في وضع حد لحياته ، وانما ، على العكس ، رغبته في حياة تلك الحياة وصيانتها . ومن بودلير في خطابه الشهير سنة ١٨٤٥ : « انا انتحر .. لانني غير نافع للآخرين ، وخطر على نفسي » ويلحق سارتر بانه لا يجب الاعتقاد بانه شعر بعدم جدواه نتيجة انه شاب بورجوازي ، دون مهنة ، وتحت وصاية عائلته حتى سن الرابعة والعشرين ، بل الاولى الاعتقاد بانه : لم يتعلم اية مهنة ، وظل غير مهم بأي مشروع (١١) .

بعد ذلك ، وفي وقت آخر ، يحدثنا بودلير بكل فخر قائلا :

فكرة ان اكون رجلا نافعا .. بدت لي دائما بشعة للفانية ! (١٢)

وليس للحياة لديه الا سحر حقيقي واحد ، هو سحر اللعب . لكن سارتر يتسائل قائلا : هل يتساوى بالنسبة لنا ، المكسب والخسارة ؟ ان رجل الفعل هو الذي يهتم دائما بالوسائل التي تؤدي الى نجاح المشروع وليس بالغايات . بينما يبدو للتملص ان أي مشروع عبث ، وقد غرق بودلير في هذا العبث ، وفجأة اكتشف داخل ضميره « الشاسع مثل البحر » الارهاق والسأم والوحدة . . وفي احدي هذه اللحظات ، كتب الى امه :

« ما احس به هو الخور الهائل ، شعور بعدم القدرة لا يحتمل .. غياب كامل لاية رغبة .. استحالة في وجود اية لذة كانت .. والنجاح الغريب الذي حققته كتابي ، والاحقاد التي سببها لي شغلتي لفترة .. لكنني ما لبثت ان عدت للسقوط .. » (١٣)

بودلير كسول .. ولحظة العمل بالنسبة اليه شاقة للغاية .. فهو يفكر فيها وينتظرها ويتخيّل صعوباتها ، ويوغل في ذلك الى الحد الذي ربما يلغيه ، ويقعد به عن تنفيذ ذلك العمل نهائيا . والمثال : (١٤) انه احتد يوما على احد الاوصياء في العائلة ، نتيجة تقديره عليه في النقود ، فكتب الى امه خمسة خطابات في يوم واحد ، ثم سادسا في اليوم التالي . اما الخطاب الاول فلم يذكر فيه سوى عزمه الاكيد في الذهاب الى هذا الوصي وصفحه امام زوجه واولاده . . في الساعة الرابعة (وفي خطاب اليوم التالي يتمعج هو نفسه من تحديده ذلك الموعد !!) ثم في خطاب آخر يقول : « لن اذهب اليوم .. يجب ان انتظر فترة قبل الانتقام » ويلاحظ سارتر ان بودلير قد كتب كلمة « صمغ » او « لطم » بالفرنسية في حروف كبيرة Aux Caractères Majuscules

شان من يكتب قراره على الرخام .. بينما يخشى ان يفلت من بين اصابعه ! « كما يؤكد على استخدامه للشرط عندما يقول : « اذا لم احصل على التقسيط العلني .. فانني سأضربه ، وسأضرب ابنه .. » محاولا دفع امه في عملية الابتزاز تلك . ومع ذلك كله .. نجد القرار الغاضب يذبل مع قدوم الليل ، وفيه يكتب : « لقد استشرت شخصين حول ما يجب ان افعله .. ان ضرب عجوز يعتبر عبثا غير لائق .. ومع ذلك يجب لي ان احصل على هذا التقسيط .. ماذا سافعل ؟ اذا لم يحدث هذا التقسيط ، فيجب ، على الاقل ، ان اذهب لاتول له ، امام زوجه وعائلته ، ما اراه في شأن هذا التصرف ! »

وهكذا نجد ضرورة التصرف ، ومواجهة الامور اليومية ، تبدو عبثا تقبلا على بودلير .. يستعد له ، ويجهد نفسه ، ويشعر بالاعياء ، واحيانا بالعجز ، فيصيح :

« في اية حيرة اغرقتني يا الهي .. يلزمني بالتاكيد قدر من الراحة ، انني لا اطلب اكثر من هذا ! ! »

ثم .. ثم بعد ذلك كله .. يأتي صباح اليوم التاسع من هذه المشكلة التي عقدها بودلير ، فيطوى آخر صفحاتها على هذا النحو : « لا ينبغي ان اكتب اليه بعد ذلك على الاطلاق ، كل كلمة اقول له فيها انني لم اعد في حاجة الى نقوده » .

من هذا الاتباع في التعامل مع الاحداث ، يستخلص سارتر موقفا أساسيا في شخصية بودلير : عنف بالغ في الذهن ، يظن ان الغلوفيه سيمنحه القوة على التنفيذ،



الشاعر في الفلسفة الوجودية

لأحلامه . ولكي يحقق معها رغباته ، كان عليه ان يصنعها - صناعيا - في حالة من البرودة .

نأتي الى **موتف بودلير** من **الانسان** بصفة عامة (١٨) انه بصورة دائمة في حالة حركة مستمرة نتيجة التجاذب المستمر بين **موتف** متضادين بالتساوي .. تنزع احدهما الى اعلى ، والاخرى الى اسفل .. يقول : « يوجد في كل انسان ، كل لحظة ، الحاحان متزامنان : احدهما نحو الله ، والاخر نحو الشيطان . والاحتفاء بالله ، او الروحية هي الرغبة في الصعود الى اعلى ، بينما مصاحبة الشيطان او الحيوانية هي التمتع في الهبوط ! »

ليس الانسان اذن مجرد حالة استاتيكية راکدة ، كما تصور **باسكال** ، عندما قال : **ان الانسان ليس ملاكا ، وليس دابة** » وانما هو لدى بودلير عبارة عن ذلك التوتر الدائم والناجم عن قوتي **الخسیر** و**الشر** ، المتضادتين والمتعادلتين في القوة .

بودلير **ناقم** على الانسان ، لكنه **معجب** بملكته في **الاختراع** . ولا يتوقف مجال الاختراع ، هنا ، على الشعر والفن ، وانما يشمل كل انواع الاختراع الانساني : فالمساحيق ، والمجوهرات ، والثياب ، والاضواء .. كل ذلك يمثل في عينيه عظمة الانسان الحقيقية ، بل ان المدينة الكبيرة ، بمبانيها وشوارعها وميادينها ومعاملها .. تعكس هي الاخرى جوانب مختلفة من تلك العظمة . والخلاصة ان سارتر يرى ان

ثم مفاجأة متفجرة في بداية التنفيذ .. وفي لمح البصر .. وضوح شديد في الرؤية ، ينعكس على نقشة ، فينكشف كل ما كان قد تجمع .. ان مشروعات بودلير ، كما يرى سارتر ، قصيرة المدى ، ووقوتية .. وكانت دائما مرتبطة بالفشل . اما المشروعات الطويلة فمستبعدة ، لانها كانت بالنسبة اليه .. مزعجة !!

كان بودلير يحس **بالبرودة** في اعماقه ، والسبب انه لم يكن موافقا مع اسدقائه ، ولا سعيدا في حبه .. فهو مع اسدقائه بارد « **كثير من الاصدقاء ، كثير من القفازات !** » (١٥) يستخدم معهم الجاملات الاجتماعية الباردة ، ويرى سارتر انه كان يقتل كل ذرات الدفء التي تنقل منهم اليه ، لذلك فقد قرأ بروذته في وجوههم ، يقول سارتر « **فنتخيل بودلير مثل مسافر يدخل ذات ليل من ليالي الشتاء ، احدى المقاهي : وعليه كل المطر وكل الجليد من الخارج ، انه يرى ويفكر ، لكنه لم يعقد** » يحس بجسده .. انه عدم الحساسية » (١٦)

ومع ذلك ، **فمع النساء** ، بل مع صنف معين منهن ، لم يشعر بودلير بمثل هذه البرودة . (١٧) فهل لانه كان يرى في الرجال عنصرا متفوقا عليه ؟! المهم ان المرأة مخلوق اقل تعاليا واستبدادا من الرجل . ومن هنا استطاع بودلير ان يبرز تقديسه للمرأة . لانها - في اسوأ الحالات - لن تصبح مساوية له . صحيح انها كانت بالنسبة اليه ، كما أدرك روير Royère « **كأننا حيا فوق الطبيعة** » لكنه عرف جيدا ان يتخذ منها مجالا

بودلير اذا كان ناثبا على الانسان « واستبداده » ، فقد كان انساني النزعة في « تقديره للعمل الإنساني » . وبالطبع يأخذ سارتر على بودلير **البصمات المسيحية** الكثيرة المنتشرة في قصائده ، (١٩) لكنه يراها أقل مما هي عليه لدى كاتب آخر مثل اندريه جيسـد André Gide ، ومسح ذلك يتسائل : لماذا ظل بودلير ، شاعر الإبداع ، شمسنا مما حوله حتى اللحظة الأخيرة ؟! ولماذا استخدم كل قوته ووقته في الحفاظ على مجابهة التي انهم من أجلها ؟! ثم كيف استطاع ان يجابه كل هذه السلطات التي حكمت ، منذ البداية ، على ضميره وادارته بأنهما : ضمير سوء ، واردة شر ؟! كان كل ما يستطيع عمله بودلير هو ان يكتسب شعرا .. وقد استطاع ان يجعل منه « **كائنا ذا شخصية موضوعية متميزة** » . ويرى سارتر ان بودلير عندما كان يكتب لم يكن يفرق بين ذاته هو ، وبين تلك الشخصية التي اتملها في عمله . بل يمكن القول : انه انما كتب قصائده لكي يرى نفسه فيها .

وهكذا أكد بودلير شخصيته المتميزة في هذا العالم الذي اقلبه بنفسه ، وفيه فقط .. تمكن من ان يحاكم له ، ويتمرد - ولا يثور - على زوجها الضابط . وهنا يتوقف سارتر ليؤكد على فرق دقيق بين التمرد والثائر : **الثائر** يريد تغيير العالم ، ويتجاوز نحو المستقبل ، نحو نظام من القيم التي يخترعها او يتخيلها ، أما **التمرد** فهو دائما مهتم بالحفاظ ، غير الحسوس ، على اللون التمسك الذي يعاني منها ، حتى يمكنه دأبها ان يتمرد عليها . ولم يكن بودلير سوى متمرد .. لانه كان يقدر - في امكانه - هؤلاء الذين كان يعاني منهم . لقد كان يعتبر « الكبار » دائما مخلوقات عالية ومهيبة .. يكني فقط ان يسخط في وجوها ، غير انه لا يتسدر ان يحطها !! (٢٠)

ومع ذلك فان بودلير غير راض تماما عن اشعاره ، باعتبارها عملا ، وهو يكره العمل . انه يسعى دائما الى غاية اسمى ، هي الخير الذي حرم منه ، ولانه رجل متأمل ، فان **الوسائل** لا ترضيه ، لانها تنزل دائما أقل قيمة من الغاية .. وهكذا وجد نفسه في موقف متناقض : فمن جانب : يريد ان يعلن **حرية اختياره** ، عندما لا يتصرف الا من أجل غايته التي وضعها لنفسه ، ومن جانب آخر ، يريد ان يضع قناعا على عفويته وبساطته وطوفولته التي استمرت في داخله الى النهاية .. وعندما رفض ان يتبل اية غاية ، اعدها له سلفا السلطات الكهنوتية ! فلم يبق امام حريته سوى طريق واحد : هو اختيار **الشر** . ولا ينبغي ان نفهم من ذلك انه راح يقطف الفاكهة المحرمة (ايا كانت) لكن (لانها محرمة !)

واخيرا يبين سارتر العلاقة بين **الشر والشعر** ، (٢١) ، التي أعلنها بودلير عندما سمى ديوانه الشهير « **زهو الشر** » فيقول : « عندما يتخذ الشعر من الشر موضوعا له ، فان نوعي الإبداع ذي المسؤولية المحددة ، يتواصلان ويتمتعان ، وهنا يصبح لدينا ، نتيجة هذا التوصل : زهرة شر ، اي خطأ ، وليس الحديث عن الخطأ الا قبول « **الخير** » والاعتراف به . بل ان الخطأ في اقراره على نفسه بالسوء ، انما يسبغ الشرف على الخير ، ويعترف بأنه نسيبي ، وغير أصيل ، وانه - بدون الخير لا يكون له وجود .

المراجع :

- (١) ليريد من الفصل انظر L'existentialisme, par FOULQUIE (Paul) Nouv. éd. Paris, P.U.F. 1955.
- Les doctrines existentialistes de Kierke gaard, à J. - P. Sartre, Abbaye Saint-Wandrille. Ed. de Fontenelle 1948
- (٢) ترجم د. عبد الرحمن بدوي كتاب سارتر الاساس « **الوجود والعدم** » بيروت ١٩٦٥ .
- (٣) بعنوان Baudelaire ط باريس ، جاليليا ١٩٦٢ . وهي النسخة الفرنسية التي اعتمدنا عليها - كلية - في هذه الدراسة . ونقول مسوية الكتاب من ان سارتر كتبه بنفس طويل واحد ، ولم يضع له اية عناوين داخلية .
- (٤) ص ٩ من المقدمة التي كتبها للطبعة السابقة ميشيل ليرى Michel Leiris
- (٥) ص ١٧ : بودلير لسارتر .
- (٦) ص ١٨ و ١٩ بودلير لسارتر
- (٧) ص ٢٠ : السابق .
- (٨) ص ٢٦ : السابق
- (٩) ص ٣٠ : السابق
- (١٠) ص ٣١ : السابق
- (١١) ص ٣٤ : السابق
- (١٢) ص ٣٥ : السابق
- (١٣) ص ٣٧ : السابق
- (١٤) ص ٤٠ وما بعدها : السابق .
- (١٥) ص ١٤٩ : السابق .
- (١٦) نفس الصفحة : السابق .
- (١٧) انظر موقفه مع المرأة عموما ص ١٥٠ وما بعدها : السابق .
- (١٨) ص ٤٥ وما بعدها : السابق .
- (١٩) انظر موقفه من الدين ص ١٨١ وما بعدها : السابق .
- (٢٠) ص ٦٢ ، ٦٧ : السابق .
- (٢١) ص ٨٩ وما بعدها : السابق .



قضايا معاصرة في نقدنا القديم

التشخيص

الدكتور يوسف حسين بكار

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

— ١ —

فما أكثر الدراسات الحديثة التي تعرض لتاريخ نقدنا العربي القديم واتجاهاته ، وتدرس علما من اعلامه أو اثرا من اثاره ، وما أقل الدراسات والابحاث والمقالات التي ترصد ظواهره وقضاياه الفنية ، وتستقرىها وتكشف عن طبيعة فهم القدماء لها ، وهو ما ادى ، بالضرورة الى كثرة الاحكام العشوائية المرتجلة على نقدنا ونقدنا سواء ما كان ايجابيا ام سلبيا .

ولقد اتاح لي اشتغالي بالنقد العربي وتخصصي فيه ، منذ دراستي عن « بناء القصيدة العربية عند النقاد القدماء — في ضوء المفاهيم النقدية الحديثة (١) » وقبل ذلك الى مزيد من الاطلاع والبحث والاستقراء والاستنتاج ، فغبين لي من خلال ذلك اننا لا نعدم ان نجد في نقدنا القديم ، في اعصار ازدهاره ونضجه ، لفئات بارعة ، ونظرات دقيقة ، وقضايا ومساائل يمكن ان تعد ارمصاصات وجذورا حقيقية لكثير من مفاهيم وقضايا نقدية حديثة .

ومنذ نيف وثلاثة عقود ، نبه المرحوم الدكتور محمد مندور الى شيء من هذا بقوله « وفي الحق ان في الكتب العربية القديمة كنوزا تستطيع ، اذا عدنا اليها وتناولناها بعقولنا المثقفة ثقافة اوروبية حديثة ، ان نستخرج منها الكثير من الحقائق التي لا تزال قائمة حتى اليوم ... على الانجمل او نتجاهل الفروق الاساسية الموجودة بين الادب العربي وغيره من الاداب الاوروبية بها يستتبعه ذلك من تفاوت كبير في مناهج النقد وموضوعاته ومساائله » وذهب هذا المذهب ايضا الدكتور ماهر حسن فهمي ، الذي التفت الى قضايا نقدية معاصرة في « صناعتي » ابي هلال العسكري ، وقال : « مديرتنا لثرائنا النقدي دراسة مستقلة عن النظريات النقدية المعاصرة ، تصور لنا هذه النظريات كأنها تفرعت عن اصول غريبة محضة لم تعرفها الجذور العربية الضاربة في باطن الزمن » (٢) .

ومن الواضح ان هذه الاسباب كانت مدعاة لنفر من الباحثين والنقاد الى تحل عبء اعادة النظر في نقدنا القديم ، والدعوة الى دراسته وتقويمه على أسس

وطه حسين (١٦) والنووي (١٧) ، من اقتصر على التشخيص فقط ووقف عنده ، في حين تخطاه بعضهم من مثل ، شوقي ضيف (١٨) ، ومحمد عبد العزيز الكفراوي ، الى ما يعرف بـ « التجسيم » الذي أخشى ان يكون ، عندها ، معادلا لمصطلح Animation الذي يمتاز عن « التجسيم » امتيازاً كبيراً (١٩) .

مع ان بعض الاجاب يعد الـ Animation تعبيراً مجازياً استعارياً الى حد ما (٢٠) ، فان بعض بلاغيين فصلوا « التشخيص » عن المجاز بعبارة ، وعن الاستعارة (Metaphor) بخاصة (٢١) . لكنه على الرغم من هذا ، ومن ترحيب بعض باحثينا به والدعوة الى متابعتها (٢٢) ، فانه ليس ثمة من مبرر لفصله عن المجاز والاستعارة ، لانه ربما كان لاتفاق هذا النوع من الصور الشعرية عن الاستعارة وارتباطه بها ارتباطاً كاملاً ، هو الذي حفز النقاد الى ولوج باب الموازنة بين الاستعارة والتشبيه في مجال الاستعارة والصور الشعرية ، وان تكن الاستعارة في مفهوم جل قدماء بلاغيي العرب من ملحقات التشبيه ، او هي « فرع » وهو « أصل » فيها درجوا على وصفها .

يرى « تشارلتن » رايلا لا يختلف عما في اصول البلاغة العربية ، فيقول « الفرق بين التشبيه والاستعارة هو ان الاول يحتفظ للمشيء والمشيء به بذاتيهما وكل ما يفعله ان يربط الصلة بينهما . اما الاستعارة ، فتندمج الواحد في الآخر وتجعلها شيئاً واحداً » (٢٣) . من اجل هذا ، فالاستعارة « اعم في الخيال لانها تطمس الاشياء طمساً ، وتستبدل بها اشباهها » ، والسبب نفسه ايضا ، كان التشبيه « أكثر شيوعاً من الاستعارة في المعصور « الانتباعية » التي يكون فيها الشعراء أقل حدة في الخيال وأكثر انصياعاً لاحكام العقل والمنطق ، وكانت الاستعارة أكثر شيوعاً في المعصور « الابتداعية » التي يشطح فيها الخيال ويجمع ، فلا يكون العقل عليه ضابط » (٢٤) .

ويضي تشارلتن في تبين أهمية الاستعارة في الشعر ، دون ان يغفل دور التشبيه ايضا ، يقول : « والاستعارة في الشعر قوية بالغة بحيث يكاد يستحيل ان يكون الشعر شعراً بغيرها . وذلك لان الشاعر يرى بين الاشياء التي تبدو منفصلة لا علاقة لاصداها بالآخرى روابط وصلات ، فإذا ما ربط بعضها ببعض كانت له استعارة او تشبيه » (٢٥) . وحين يصل الى التشخيص ، يقول « وما هذا التشخيص الا واحد من مئات طرائق التعبير واساليبه عند الشعراء ، يريدون بها الاقتصار في اداء المعاني على مجرد سرده وبسطه بطريقة مستقيمة مباشرة ، لانهم ان فعلوا كانوا يخاطبون العقل ، ومهمتهم ان يثيروا بالفاظهم المختارة

ومفاهيم سليمة لا تغفل طبيعة عصره وثقافته المتصددين له ومشاريهم المختلفة ، وامكاناتهم وادواتهم النقدية انذاك . ومن هؤلاء ، مثلاً ، الدكتور احسان عباس في كتابه القيم « تاريخ النقد الادبي عند العرب » اذ كشف في ديباجته عن الحافظ الذي دعاه الى تاليه ، بقوله « وقد كان يحذوني الى هذا العمل — الذي استغرق من جهدي سنوات — شعوري بأن النقد عند العرب في حاجة الى استئناف في النظر والتقييم ، اذا انا قرأت ما كتب عنه من مؤلفات حديثة ، واحساسى وأنا أقرأ الكتب النقدية المختلفة التي كتبها الاسلاف ان فيها ما يستحق بذل الجهد ، ليعرض ذلك النقد بأمانة وانصاف » (٢٦) .

— ٢ —

ومن القضايا اللافتة للنظر ما خلف اسلافنا من البلاغيين والنقاد ما يسميه النقد المعاصر « التشخيص Personification » ، وهو ضرب من التعبير يعد من اقوى اركان الصورة الشعرية وأعمدها فيه . لدى الغربيين اصطلاحاً Animation و "Animism"

(٥) ، معنى الاول الاحياء والانعاش والحيوية ، ومعنى الآخر « الارواحية » او مذهب « حيوية المادة » الذي يقوم على ان لكل ما في الكون ، حتى التكون نفسه ، روحاً او نفساً (٦) . ويقال ان هذا المذهب هو أصل « ملكة التشخيص » (٧) ، وان كان ارسطو قد عرّفه من قبل ، وكان يسميه قوة وضع الاشياء « تحت العين » او « نصب العين » (To set things before the eyes) وهو عنده نوع من المجاز الذي كان يسميه « تقييماً » . وقد مثل له بهذا المثال « حتى تصرخ الآلة (٨) بأسرها » . وقال : « فان هذا أيضاً تغيير ، هو نصب العين » (٩) . ويدخل هذا النوع عنده في عداد اساليب التعبير المذهب (١٠) . وكان ارسطو ، ايضا ، يعد « المثال » (الصورة) تغييراً ، وان اختلفا قليلاً (١١) . غير ان نقاد الغرب يفرقون بين « Personification » و Animation

فالاول ، أي التشخيص هو اضافة الاوصاف والخواص الانسانية على الاشياء او المفاهيم التجريدية (١٢) ، اما الآخر ، فهو منح المجرّدات ، الى الاسباغ عليها ، درجات من النومي والقوة اعظم بكثير مما يعزى اليها عادة (١٣) . ومن المؤكد ان النقاد والباحثين العرب المعاصرين الذين عرضوا للتشخيص عنصراً من عناصر التصوير والخيال والتفوق والابداع عند بعض شعرائنا القدامى من مثل ابي تمام وابن الرومي خاصة ، كالذي فعل العقادي في « ابن الرومي ، حياته من شعره » وشوقي ضيف في كلامه على ابي تمام وابن الرومي في « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » ، من المؤكد انهم تأثروا في صنعهم هذا بالغربيين (١٤) فمنهم ، كالعقاد (١٥)

وصورهم الجيدة كل ما يمكنهم ان يثروه في نفس القراء
من مشاعر وفكريات « (٢٦) » .

وتابع الأستاذ على الجندي خطى تشارلتن ،
ووافقه على جميع ارائه ، فقال « ونحن لا ننكر ان
التشبيهات اقل اهمية من الاستعارة في النثر الادبي ، وفي
الموضوعات الشعرية ، ليزائرها الواضحة في التجسيم
والتشخيص ، وفي المبالغة والتهويل « (٢٧) » .

— ٥ —

ليس من شائي أن أعرض ، هنا ، لفن
« التشخيص » في شعرنا القديم ، فهو متوافر فيه
منذ أقدم عصوره (٢٨) ، انما يعني ، بعد كل ما
تقدم ، ان أبحث عنه عند بلاغيينا وتقادنا القدامى .
أعرفوه ، ام داروا حوله والتفتوا الى ما ينطوي عليه ؟
يمكن ان يقال ، من واقع ما عرضوا له في
الاستعارة المكنية ، انهم لم يعرفوا « التشخيص »
باصطلاحه المصري هذا ، وانى لهم ذلك ما دامت هذه
اللفظة نفسها غير موجودة في معاجمنا القديمة . لكنهم
التفتوا الى معناه ، وداروا حول مضمونه ومغيبوه ،
ونص بعضهم على ما يشبه تعريفه ، يقول عبد القاهر
الجرجاني في خلال كلامه على « الاستعارة المفيدة » :
«فإنك لثرى بها الجهاد حيا ناطقا ، والأعجم مصحبا ،
والاجسام الخرس مبنية ، والمعاني الخفية بادية جليلة
... . » . وان شئت ارتك المعاني اللطيفة التي هي —
خبيايا لعل كاتها قد جسبت حتى رايتها العيون ، وان
شئت لطفتم الاوصاف الجثمانية حتى تعود روحانية لا
تنالها الا الظنون « (٢٩) » .

وكاد الامدي ، وهو يتحدث عن « بعيد الاستعارة »
في شعر أبي تمام ، يقترب من مفهوم التشخيص ، بدليل
الامثلة التي استشهد بها ، يقول ، « وانما رأى ابو
تمام اشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة في اشعار
القديما ... لا تنتهي في البعد الى هذه المنزلة ،
فاحتفاها واحب الإبداع ، وأغرق في إيراد امثاله ،
واحتطب ، واستنكر منها (٣٠) » . وقبل ان يستشهد
بأمثلة من شعر صاحبه أبي تمام ، أورد امثلة من شعر
مقتدبي الشعراء ، من مثل : تائب شرا ، وذى الرمة ،
وعاب على الآخر في قوله :

يعز ضعاف القوم عزة نفسه

ويقطع « آف الكبرياء » عن الكبر

انه جميل للكبرياء انما ،
ومما لا ريب فيه ، ان منشأ مقالة الامدي هذه ،
التي نجد نظيرها ايضا عند امثال أبي هلال العسكري
والرمانى ، هو المفهوم الذي ارتضته العرب للاستعارة ،
والذي نص عليه الامدي نفسه في صراحة « وانما
استعارت العرب المعنى لما ليس له اذا كان يقاربه او

بدانيه ، او يشبهه في بعض احواله ، او كان سببا من
اسبابه ، فنكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء
الذي استعيرت له ، وللائية لمعناه « (٣١) » .

المسألة اذن بمسالة « لياقة » و « ملازمة معنوية »
و « قرب من الحقيقة » ، والا فهذا النوع أداة « ابداع » ،
فيما قال الامدي نفسه في نمص الاول . ومن هذا المنطلق
الجمالي الخاص ، ان جاز التعبير ، عاب ناقدنا القديم
على أبي تمام ، مثلا ، جعله للدهر « اخدعا » في بيته
المعروف (٣١) :

يا دهر قوم من اخدعيك ، فقد

اضججت هذا الانام من خرقك (٣٢)

واستحسن بشدة قول طيفل الغنوى :

وجعلت كوري فوق ناجية

يقعات شحم سنامها الرجل (٣٣)

ووضح علة استحسانه قائلا « لما كان شحم
السنام من الاشياء التي تقعات ، وكان الرجل ابدا
يتخوف من (٣٤) وينتقص منه وبذيه ، كان جعله اياه قوتا
للرجل من احسن الاستعارات ، وايقها بالمعنى « (٣٥) » .
وراح الامدي ، وفقا لمذهبه هذا ، يحلل حسن
عدد من الاستعارات عند امرئ القيس ، وزهير بن
أبي سلمى ، وعمر بن كلثوم ، وأبي ذؤيب الهذلي ، ثم
انصرف الى القرآن الكريم يبين جمال الاستعارة في عدد
من آياته (٣٦) .

ولقد اهدى قدامة بن جعفر قبل الامدي الى
المقضية ذائها فيها سباه « المعاطلة » حيث يقول
« فحال ان ينكر مداخلة بعض الكلام في ما يشبهه من
بعض ، او في ما كان من جنسه ، وبقي النكير انما
هو في ان يدخل بعضه في ما ليس من جنسه ، وما هو غير
لائق به ، وما أعرف ذلك الا فاحش الاستعارة » (٣٧) ،
ثم ضرب امثلة لكل من النوعين اللذين ادار احده
عليهما ، وتكاد تكون امثلة الامدي مستقاة منه (٣٨) .

وتقبل الرمانى خطى قدامة والامدي في تفسير
الاستعارة — التشخيص في الآية الكريمة « والصبح اذا
تنفس (٣٩) » بقوله « وتنفس هاهنا مستعار ، وحقيقته
اذا بدأ انتشاره ، وتنفس ابغ منه ، ومعنى الابتداء
فيها ، الا انه في التنفس ابغ لما فيه من الترويح عن
النفس « (٤٠) » . كذلك فعل أبو هلال العسكري في
توجيه الاستعارة في قوله تعالى : « لما سكت عن موسى
الغضب (٤١) » ، فقال : « معناه ذهب ، وسكت ابغ
لان فيه دلالة على موقع العودة من الغضب اذا توأم
الحال « (٤٢) » . ويبدو ان أبا هلال كان في تعريفه التالي
للاستعارة أكثر قربا لمفهوم التشخيص من الامدي ،
حين قال « ينقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل
اللغة الى غيره لغرض » (٤٣) . ولكنه ، وان شرح
الغرض وفصل فيه ، لم يحدد العلاقة بين « موضع

الاستعمال » و « غيره » ، بل تركها مفتوحة الأبواب ، مما أدى الى التوسع في مفهوم الاستعمارة عند البلاغي الحبيب والنائد الذكي ابن الاثير فيما سيأتي . وعلى أية حال ، فقد أضفى هذا المفهوم ، الذي لا يلقي الناحية التشخيصية ، واحدا من خصائص « عبود الشعر » عند العرب ، اذ قيل « أقسام الشعر ثلاثة : مثل سائر ، وتشبيه نادر ، واستعمارة قريية » (٤٤) .

نفهم ، مما تقدم ، ان القدياء قد وعوا معنى التشخيص في الاستعمارة المكتبة ، وانهم لم يعيروه للناحية التشخيصية فيه ، بل لتبع التشخيص ، وعدم لياقته ولامبته للمعنى ، ولبعده عن حقيقة الاستعمارة في بعض الاحيان ، مما جعلهم يطلون على كل استعمارة من هذا القبيل « بمعيد الاستعمارة » او « فاضح الاستعمارة » ، وربما كان التبريزي اقدم حينما اطلق على هذا النوع الاستعماري عند أبي تمام « مذهباً خاصاً في الاستعمارة » . ثم اخذوا يطبقون هذا المقياس ، بشقيه ، على كل شعر ينقاس عايه ، ومن اتبعه ما استهجنوه منه ، وان كان في صميم التشخيص ، كما كان مثل قول أبي المذاخر :

باض الهوى في غوادي وفروخ التفكر

وكان بعد الاثير (٤٥) اوعى من ادرك مفهوم انتشخيص بعد عبد القاهر وتوسع فيه ، « والاريف في الامر انه فصله عن الاستعمارة . فقد بانر الرجل الى تقسيم الكلام الذي يعدل فيه عن الحقيقة الى المجازي قسمين : احدهما ما يكون لمشاركة بين المنقول والمنقول اليه ، والاخر لا يكون الا لطالب التوسع في الكلام ، وهو سبب صالح ، اذ التوسع في الكلام مطلوب . وقسم هذا القسم الى شريين ايضا : الاول ما يرد على وجهه الاضافة ، وهو تبيح ، لبعده ما بين المضاف والمضاف اليه ، ومثاله قول أبي نواس :

يسح صوت المال مما منك يشكو ويصبح

الذي قال فيه « فقلوه (يح صوت المال) من الكلام التنازل بالمره ، ومراده من ذلك ان المال ينظلم من اهانتك اياه بالتزريق ، فالمعنى حسن ، والتعبير عنه تبيح » وعاب ايضا قول أبي نواس :

ما لرجل المال امست تشكي منك الكلال

بقوله « فاضافة الرجل الى المال اتبع من اضافة الصوت » . لكنه استحسن قول مسلم بن الوليد :

نظلم المال والاعساء من يسده

لا زال للمال والاعداء ظلالا (٤٦)

واما الضرب الاخر ، فما يرد على غير وجهه الاضافة ، وهو حسن لا عيب فيه . واستشهد له

بأبلة من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : « ثم استوى الى السماء وهي دخان ، فقال لها وللارض : انثيا طوعا او كرها ، قالتا اثينا طائمين » (٤٧) . وعلق عليه قائلا « فنسبة القول الى السماء والارض من باب التوسع ، لانها جباد ، والنطق انها هو للانسان لا للجباد ، ولا مشاركة هنا بين المنقول والمنقول اليه » ، افليس هذا النوع من صميم التشخيص الذي يعده الغربيون توسعا في التعبير اللغوي بطريقة مجازية ؟

ولكن ، اكان مفهوم « التوسع اللغوي » من ابتكار ابن الاثير ام انه لفته من القاضي الجرجاني الذي عرفه قبله بحوالي ثلاثة قرون ؟ (٤٨) .

حين عرض الجرجاني لماخذ العلماء على صاحبه المتنبي ، ودافع عنه (٤٩) ، بين ان المعارضين على أبي الطيب كانوا تسعين : « نحوي لغوي لا يصر له بصناعة الشعر » و « معنوي يفتق لا علم له بالاعراب ، ولا اتساع له في اللغة ، فهو ينكر الشيء الظاهر ، وينتم (٥٠) الامر اليه » . وذكر القاضي ان من هذه الفئة الاخرة من اتكر على شاعره :

فالفيت ايفل من سمي

لظنه ان « من » لا تكون الا لذوي العقول ، و « اعمل » لا يجرى الا على البعض من تلك الجبله ، كان يقال « زيد افضل من الناس » . فلا بد ان يكون زيد من الناس .

ورد القاضي الجرجاني على هذا الزعم ، ببصرة النائد الصالح ، فقال « وهذا الاعتراض يدل على تقصير شليد في العلم بكلام العرب ، لان العرب اذا وصفت الشيء بصفة غيره استعارت له الفاعل ، واجرته نسي العبارة مجراه ، وان كان لو انفرد ، انفرد عنه بصفته ، وتبين فونه بعبارة . فمن ذلك قول الله تعالى : « والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين (٥١) » لما وصلها بالسجود جميعها بالياء والنون ولا يجعب بهما الا جنس من يعقل ، او ما خرج عن باب له لمل مكتورة في مواضعها ... وكذلك قوله حاكيا عن السموات والارض « قلنا اثينا طائمين (٥٢) » لما حكى عنهما النطق والقول والطاعة والانتصار .

وليس من شك ان هذه الظاهرة التي لم يستطع اولئك المعنويون فهمها ، والتي شرحتها الجرجاني ، هي ما يعرف بالتشخيص (٥٣) .

يوسف بكار

كلية الاداب — جامعة الفردوسي

مشهد ، ايران



Schoels, Robert: Elements of Poetry, P. 48. (١٢)

(١٤) وهذا ما حدث في النقد المعاصر عند الإيرانيين ، فالنثقيص
عندهم من اجل صور الخيال في الشعر .

راجع : مثلا : محمد رضا شفيهي ككني ، صور خيال در
شعر پارسي (صور الخيال في الشعر الفارسي) ، ص ١١٥ —
١٢٠ ، طهران ١٣٥٠ شمسي .

(١٥) ابن الرومي ، حياته من شعره ٢٩٦ — ٢٠٩ الطبعة الرابعة ،
مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٧ .

(١٦) من حديث الشعر والنثر ١٢٧ — ١٢٨ الطبعة العاشرة ،
دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

(١٧) نقابة القائد الادبي ٢٤٨ — ٢٥١ .

(١٨) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٢٠٧ — ٢١٢ و ٢٢٢ — ٢٢٩ .

(١٩) يقول الدكتور الكتراوي « والفرق بين التجسيم والنثقيص ،

ان الاول ينقل المعنويات الى جسم لا حياة فيه ، كتول بشار :

وكان رجس حديتها قطع الرياض كسين زهرا

في حين ان النثقيص ينقلها الى الشخاس حية ، كتول ابي

نصام :

خفست عني الدهر بعد ملية تركت لثايبه علي صربا

(تاريخ الشعر العربي ٢ : ٢١٩ مطبعة الرسالة ، القاهرة ،

دون تاريخ) .

Scholes, R: The Elements of Poetry, P. 48. (٢٠)

(٢١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٢٢٦ نقل عن :
J.F. Genung, The Working Principles of Rhetoric,
P.84.

(٢٢) شوقي صيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٢٢٦ .

(٢٣) فنون الادب ٩٤ ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ، لجنة

التأليف والترجمة والنشر .

الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٩ .

(٢٤) المرجع السابق ٩٥ .

(٢٥) المرجع نفسه ٩٥ .

(٢٦) المرجع السابق ٩١ — ٩٢ .

(٢٧) فن التشبيه ١ : ٥٠ — ٥١ مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الاولى

١٩٥٢ .

(٢٨) راجع كتابي : انجازات الغزل في القرن الثاني الهجري

٢٥ ، و ٢٩ ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .

(٢٩) اسرار البلاغة ٥٠ — ٥١ ، طبعة مصطفى المراغي ، مطبعة

الاستقامة ، القاهرة ، دون تاريخ .

(٣٠) الموازنة بين الطائيين ٢٤٠ ، تحقيق محيي الدين عبيد

الحديد ، الطبعة الثالثة ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٩ .

(المصدر السابق ٢٢٤) .

يلقى الدكتور شوقي صيف علي نسي الايدي هذا قائلا « وهو

مخطيء في هذه القاعدة التي وضعها للاستعارة ، ذلك انه

ادخل في حيز الاستعارة ما سواه العرب بالاستعارة المكنية »

(البلاغة تطور وتاريخ ، ص ١٣٠ ، الطبعة الثانية ، دار

(١) هي رسالتي للدكتوراة التي اجزتها ببرنية الشرف الاولى من
كلية الاداب بجامعة القاهرة ، والتي طبع الان بدار الثقافة
للطباعة والنشر بمصر .

(٢) النقد المتجهي عند العرب ، ص ٥ ، مطبعة نهضة مصر ، دون
تاريخ .

(٣) قضايا نقدية في كتاب الصناعتين (مقال) . حولية كلية البنات
بجامعة عين شمس ، العدد الخامس ، يوليو (توز) ١٩٦٧ .

(٤) تاريخ النقد الادبي عند العرب (نقد الشعر) ، ص ١٠ ،
الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧١ .

(٥) اشتقت هذه اللفظة من كلمة "Anima" اللاتينية ومعناها :

الحياة او الروح . وكان جورج ارنست ستول

George Ernst Stahl ، من القرن الثامن عشر ، اول

من ابتكرها لشرح فلسفته عن « روح الكون » .

راجع التفاصيل في :
encyclopaedia Britannica, P. 991, Vol. 1, 1961.

(٦) انظر : المورد ، لئلي البعلبكي و :
Encyclopaedia Britannica
التي تقدمت الاشارة اليها .

(٧) محمد النويهي ، نقابة القائد الادبي ٢٤٩ ، الطبعة الاولى ،
القاهرة ١٩٤٩ .

ومن الطريف ان الدكتور النويهي وضع الاصطلاح الاجنبي في

الهامش ، وقال : « لا ادري كيف اترجمه » ، لكنه نفسه يقول

« وهو تصوير الحياة قيميا لا حياة به ، او تصور شخصية حية

واعية مريدة للاشياء التي لا حياة فيها ، فضلا عن الوعي

والارادة مثل الصخور والجبال ونباتات الماء والرعد والبرق

والريح ... » .

(٨) Hellade اي بلاد اليونان .

(٩) ارسطو طاليس ، الخطبة (الترجمة العربية القديمة) ص

٢١٦ و ٢١٧ ايضا ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ،

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ .

ثم انظر :

W.D. Ross, The works of Aristotle, Vol. X1

(١٠) الخطبة ، ص ٢١٢ .

(١١) المصدر السابق ١٩٥ .

(١٢) راجع :

a) Shipley, Joseph, T: Dictionary of World Liter-

ary Terms, P. 305, 1st Published, London.1955.

b) Scholes, Robert: Elements of Poetry, PP 49-50,

3rd Printing, U.S.A; 1970.

c) Smith, L.E.W: A short Course on Poetry, P. 64.

London, 1967.

- (٤٦) اعلم ان يحيى بن حزمة العلوي البصري (المتوفى ٧٤٩ هـ)
ارود امثلة ابن الاثير (المتوفى ٦٢٧ هـ) نفسها على ما سماه
« الاستمارة القبيحة » ، وعلق عليها بتعليقاته فيها —
تغييرات طفيفة في بعض الالفاظ .
(راجع كتابه ، الطراز ١ : ٢٤١ - ٢٤٢ ، مطبعة المقتطف
بمصر ١٩١٤) .
- (٤٧) فصلت ، اية ١ .
- (٤٨) نولي القافى الجرجاني عام ٣٦٦ هـ ، ونولي ابن اثير عام
٦٣٧ هـ .
- (٤٩) الوساطة بين المتني وخصومه ، ص ٢٤ - ٤٤ ، تحقيق
محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي الجبالي ، الطبعة الرابعة ،
البياني الحلبي ، القاهرة ١٩٦٦ .
- (٥٠) بنق : بنكر ايضا .
- (٥١) من الآية الكريمة « اذ قال يوسف لايه : يا ابا ابي رايت
احد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين »
(يوسف ، اية ٤) .
- (٥٢) لاحظ التشابه في هذا المثال عند القافى وابن الاثير .
- (٥٣) محمد مندور النقد المنهجي عند العرب ٢٩٨ .

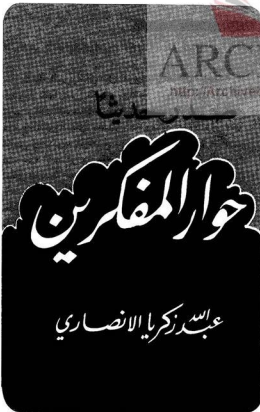
المعارف بمصر ، دون تاريخ) ويقول ايضا « ومهما يكن ، فان
الامدي يعد المسؤول — الى حد ما — عن اقعاق هذا الجانب
التصوري من جوانب الشعر في باب الاستمارة ، اذ نبعسه
البلاغيون يذخونه فيها غير للاحظين انه لا يقوم على تشبيه
انما يقوم على تجسيم وتشخيص للمعاني ، ولعناصر الطبيعة »
(المرجع السابق ، ص ١٢١) .

- اما الدكتور احسان عباس فينظر ، بحق ، الى التشخيص على
انه « حدة في الاستمارة » يقول « ولست بسبيل الدفاع عن
استمارات ابي تمام ، ولكني اقول ان تعقب الامدي لهذه
الاستمارات ، قد اصاب الطريقة الشعرية نفسها ، واذا كان
النقد ذا اثر في تربية اللوق ، فان الامدي واشباهه ، قد
حال دون تكثر الطبقة التي تندوق الجدة في الاستمارة ، وتقبل
على ما يمكن في طبيعة الخيال الضلال من اسرار الحياة في
صورة جديدة » (تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ص ١٧٠) .
- (٢١) الموازنة ٢٤ .
- (٢٢) الادعج : العرق البارز في صفحة المعنى . الفرق : الحمل .
- (٢٣) الكور : الرجل بادانه . الناجية : الناقة السريعة الكريمة .
- (٢٤) ينفوخ : بمعنى ينتفض ايضا . وقد تكون اللفظة : « ينفخونه »
والمعنى واحد .
- (انظر : لسان العرب — خوف وخون) .

(٢٥) الموازنة ٢٢٥ .

يلحظ الدكتور احسان عباس على احكام الامدي هذه اللاحظة
الطريفية التالية : « واني لاحس ان وراء بعض احكام الامدي
اثرا دينيا فاكتر استمارات ابي تمام التي يجدها الامدي
غفلة ، انما تتعلق بالدهر والزمان ، وربما اربط هذا — ارتباطا
شعوريا او لا شعوريا — بما يروى في الاثر : لا تسبوا
الدهر ... » (تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ص ١٧٠) .

- (٣٦) المصدر نفسه ٢٢٥ - ٢٢٨ .
- (٣٧) نقد الشعر ٢٠١ ، تحقيق كمال مصطفى ، القاهرة ١٩٦٢ .
- (٣٨) المصدر نفسه ٢٠١ - ٢٠٥ .
- (٣٩) التكوين ، اية ١٨ .
- (٤٠) الفتك في اعجاز القرآن ٨٢ (رسالة منشورة في : ثلاث رسائل
في اعجاز القرآن . تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ،
دار المعارف بمصر ، دون تاريخ) .
- (٤١) الاعراف ، اية ١٥٣ .
- (٤٢) كتاب الصناعين ٢٧٢ ، تحقيق الجبالي وابو الفضل
ابراهيم ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٢ .
- (٤٣) كتاب الصناعين ٢٠٦ .
- (٤٤) المرزوقي ، بقية ديوان الحياصة ١ : ١٠ ، تحقيق احمد
امين وعبد السلام هارون .
- الطبعة الاولى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة
١٩٥١ .
- (٤٥) المثل السائر ١ : ٣٦٣ ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد .
البياني الحلبي ، القاهرة ١٩٢٩ .



المجالس اللغوية وأثرها في إثراء اللغة

الدكتور سمير نجيب اللبدي

ولا غرو في ذلك فالقرآن قد بذ العرب في فصاحتهم وعقد البسنتهم ، واوقف فيهم قدرة المحاكاة والمعارضة ، ولذلك كان من اعظم المصادر التي جمعت اللغة منها كما كان الفيصل ، وسيظل الى الابد في الحكم على سلامة التعبير وصحة القول وفصاحة اللفظ . ونحن في بحثنا هذا لا يعنينا بالنسبة لما قلنا اكثر من ان اللغة بمادتها الحاضرة التي تحتويها المكتبة العربية لم تجمع من مصدر واحد ، بل تعددت مصادر جمعها وتنوعت .

واذا كانت المصادر التي ذكرناها وفي مقدمتها القرآن وكلام العرب هي المصادر الرئيسية في مجال جمع اللغة وتدوينها وتوثيقها فان هناك مصدرا اخر كان له دور كبير في مد اللغة وتزويدها وترسيخ بعض من قواعدها واسسها ومفرداتها .

فالمجالس الادبية التي كان الخلفاء والعلماء يعتقدونها في تصورهم ومعتقداتهم تعد بحق مصدرا ثرا وينبوعا ثائرا لمراتف الادب وحقائق اللغة ونكسات البلاغة ووجوه الكلام .

فقد كانت عروبة الخلفاء تدفعهم الى تشجيع العلماء وبذل الزيد في اكرامهم والاعداق عليهم ، حتى ان القصور الحاكمة في ذلك الوقت كانت تعج بأمرء

اللغة العربية في كل فروعها مصادر متعددة ، تضافرت كلها على تكوين موادها ، ولقد كان القرآن الكريم وكلام العرب اهم هذه المصادر واندرها على مد الفروع اللغوية بكل مضموناتها ومكوناتها ، ولم يكن القياس في مدلوله الواسع بعيدا بفعالية عن ان يكون ثالث هذه المصادر وصانع الكثير من مفهومات اللغة ومعاييرها .

واذا نحن تتبعنا تاريخ لغتنا منذ ان كانت صوتا يسمع ويحكى الى ان اصبحت مادة تعلم وتصف ، وجدنا ان جهودا جبارة بذلت في سبيلها حتى استطاعت ان تجمع قواها السلبية من افواه قائلها الذين كانت تضرب اليهم اكباد الابل وتركب المطايا للوصول الى مضاربهم ومشاهيرهم في بواقيهم مع ما يشوب ذلك من عناء النقد والتمييز للفصح من غيره ولشوب الحاضرة من خالصها .

ولم يكن القرآن الكريم والحديث الشريف في هذه الائناء مجرد مصدرين للجمع بل كانا ايضا مصححين لما يجمع وميزانا قويا لما يجب ان يؤخذ ولما ينبغي ان يترك ، فهما بذلك وبخاصة القرآن الكريم اعظم ما قد اعتد عليه في هذا المجال واروع وادق ما يمكن ان يعتمد عليه مستقبلا .

الشعر والأدب والبيان وعلماء اللغة والفلك والانساب .
ولن نذهب بعيدا عن تصور العباسيين التي كانت
تروج بالعلماء الذين يؤمنون من شتى الاقطار والاصقاع ،
وقد كان الخلفاء في مختلف العصور يذكرون روح
المنافسة والمعرفة في نفوس العالمين ، فيعقدون لهم في
دواوينهم المجالس العلمية والمناظرات اللغوية التي
كانت كما قلنا تنمي على وطرافة وغرابة .

وان من تلك المنافسات والمساجلات ما كان يرتب
له ، ويتقدم من ورائه المقاصد ، وهو ما يسمى
بالمناظرات ، ومنها ما كان يعرض في جلسات الخلفاء
والامراء والعلماء دون ترتيب سابق او قصد معد ، وهو
ما يسمى بالمجالس .

ولم يكن الغرض من ذلك كله في اعتقادنا يخرج عن
احد الامور التالية :

١ - تحقيق الفوز والغلبة لبلد على بلد او لمصر
على مصر .

٢ - تحقيق فوز فكري او نصر علمي يستهدف منه
اشباع الغرور او رد الكرامة او رفع الشأن .

٣ - تحقيق اغراض مادية ودينية .

ولكن مهما يكن الدافع الى هذه المناظرات والمجالس
فانها كانت في واقعها سببا في حركة علمية قوامها
التنافس والابداع والاجادة . فضلا عن انها قد اثرت
اللغة واغنتها في جوانبها ومجالاتها .
فالمناظرة الشهيرة بين الكسائي وسيبويه في
المسألة الزنوبية هي في واقعها مناظرة بين مصريين
اكثر من كثرنا بين رجلين ، ومع هذا فانها كانت مدعاة
لتحليل العلماء وانتصاف بعضهم لهذا او لذلك .

فقد رأينا ابن هشام في مغنيته يتجه الى تخلطه
الكسائي وينتصر لسيبويه فيذهب في سبيل هذا السي
تسجيل كثير من التوجيهات والآراء كما يسجل مثلها
لمؤيدي راي الكسائي كابن الخياط وابن مالك وابن
الحاجب .

ومما لا شك فيه ان اتجاه العلماء الى التخلطه او
التصويب امر يستدعي القول الكثير في دعم ما يقال في
تصويبهم او تخطئتهم ، وهذا بالتالي يثرى اللغة ويفتح
الاتاق ويجعل الشواهد والدلة تتداعى الى الاذهان
والعقول ، مفيدة تارة ومؤيدة تارة أخرى .

المناظرات ومفردات اللغة :

ولربما تكون المناظرة او المسابقة مدعاة للتوسع
وطريقا الى كشف الوجوه اللغوية وسردها ، ومن ذلك
ما روى عن محمد بن سلام الجمحي قال : قال لي
يونس ابن جبيب - كان عيسى بن عمر يتحدث في
مجلس فيه ابو عمرو بن العلاء ، فقال عيسى في حديثه :
ضربه فحُشَّت يده - بضم الحاء اي : يبتست ، فقال ابو
عمرو : ما تقول يا ابا عمر ؟ ، فقال عيسى : فحُشَّت

يده - بالضم كذلك ، فقال ابو عمرو : فحُشَّت يده :
بالفتح ، قال يونس : التي رده عنها جيدة ، يقال حُشَّت
بالضم وبالفتح ويقال احشَّت .

ومنها ما قاله الاصمعي عن اختلاف رجلين في كلمة
الصر ، فقال احدهما : الصقر وقال الاخر السقر ،
فتحكما الى اول وارء يرد عليهما ، فاذا رجل قد اقبل
فسالاه فقال : ليس كما قلت انت ، ولا كما قلت انت ،
انما هو : الزقر .

ومن المناظرات التي تتعلق بالفرد اللغوي ما هو
وسيلة الى تبيان وجوه عديدة فيه تكشف عن اختلاف
المعاني لاختلاف المباني ورد كل من هذه الوجوه الى
اصولها التي اخذت واشتقت منها ، ومن ذلك ما رواه
الاصمعي عن نفسه حيث قال : دخلت على حباد بن
سلمة وانا حدث ، فقال لي : كيف تنشده قول
الحيطة :

اولئك قوم ان بنوا احسنوا (ماذا) فقلت :

اولئك قوم ان بنسوا احسنوا **البناء**
وان عاهدوا اوفوا **وان عقدا شدوا**

فقال يا بني : احسنوا البناء يقال : بني بيني بناء
في الممران - وبنا بينوئنا في الشرف .

ومن مناظرات الضبط الهيكلي للمفرد ما سأل
عنه ابو حاتم الاصمعي قائلا ، اتجيز انك لتبرق وترعد
بكسر الراء والعين ، فقال : لا ، انما هو تبرق وترعد
بضمها ، ترد عليه ابو حاتم ، فقد قال الكهيت :

ابرق واوعد يا يزيد فما **وعيك لي بضائر**
فقال الاصمعي : هذا جرمتاني من اهل الموصل
ولا آخذ بلغته .

وربما لا تكون هذه المناظرات مقتصرة على اطرافها
المناظرية في المجلس الواحد ، بل تكون بين اثنين يورد
كل منهما قوله ثم يحتكان الى اخر في غير مجلسهما ،
ومن هذا النوع ما قاله الرائسي : سمعت ابا زيد يقول :
قال المنتجع : اغنى على المريض وقال ابو خيرة : غنى
عليه ، فارسلوا الى ام ابي خيرة فقالت : غنى على
المريض ، فقال لها المنتجع : امسك ابنك ، وكنان
وراقا .

المناظرات والصرف :

ولم تكن المناظرات العلمية تقتصر على تبيان
الوجوه اللغوية للألفاظ او الاشكال الحركية للكلمات ،
بل كانت تتجاوزها الى الوجوه الصرفية من اشتقاق او
صياغات ، اي ان هذه المناظرات كما كانت عملا في اغناء
اللغة في وجوه الفاظها فانها اغنتها كذلك في كشف
اصول هذه الالفاظ وكيفية اشتقاقها ووزنها .
ومن ذلك مثلا « سؤالي الجرمي للفراء عن اصل
الفعل (تم) فقال له الفراء : أقوم ، ففسال الجرمي :
فصنعوا ماذا ؟ قال : استنقلوا الضمة على السواو

فأسكنوها وتقلوها الى القاف ، فقال له الجرمي : —
هذا خطأ : الواو اذا سكن ما قبلها جرت مجرى
الصحيح ، ولم تستثقل الحركات فيها بدليل اسكانهم
اياها في يخاف ويثام اللذين اصلها يخوف ويثوم ، وانها
اعل المضارع فيها حملا له على الماضي .

ومن هذا النوع ايضا ما وقع بين المازني وابن
السكيت في حصة المتوكل حيث سأل المازني منظره
فقال له : ما وزن « نكتل » في قوله تعالى : فإرسل
معنا اخانا نكتل واننا له لحافظون ، فقال ابن السكيت :
وزنها نفعل ، فقال له : ائتد وانظر ، ففكر ثم قال :
وزنها نفعتل ، فقال المازني : نكتل اربعة احصر ،
ونفعتل خمسة ، فكيف تقدر الرباعي بالخاسي ،
فبهت ابن السكيت ، ولم يجر جوابا ، فقال المتوكل :
وما تقول أنت يا مازني : قال وزنها في الاصل نفعتل
لانها نكتيل ، فلما تحرك حرف العلة وهو الباء ، وانفتح
ما قبلها قلبت الفا فصارت نكتال ، ولما دخل الجازم
صارت نكتل ووزنها نفعتل ، فقال المتوكل : هذا هو
الحق . واتخذ ابن السكيت ووجه وظهر ذلك عليه ،
فلما خرجا قال للمازني : بالفت اليوم في اذى ، فقال
له : لم أقصدك بشيء مما جرى ، وانها مسألة كانت
قريبة من خاطري ففكرتها .

المنظرات والقصو :

وكما كان للصرف حظ في منظرات العلماء كان
للنحو كذلك حظه الاوفا ، ولربما يذ الفروع الاخرى
وسبقها .

فقد سجل العلماء في مجال المساجلات النحوية
منظرات كثيرة وعديدة كان لها اثر جيد في عرض كثير
من المشكلات الكلامية في معرض العديد من السياقات
القرآنية او الشعرية او النثرية .

ومن اهم هذه المنظرات تلك التي وقعت بين
الكسائي وسيبويه وهي التي اشرنا اليها في غير هذا
الموقع من الحديث .

ولعل في شهرتها وشيوعها غنى عن ذكرها اكتفاء
بالقول فيها انها اثارت مشكلة نحوية جعلت كثيرا من
النحاة كما ذكرنا سابقا يتصدون لما قيل فيها من الطرفين
المنظاريين بالتزجيح او التضعيف المدمعين بالادلة
والبراهين .

ومن المنظرات النحوية التي تتسم بالطرافة تلك
التي جرت بين اليزيدي والكسائي في حصة الرشيد ،
حيث سأل اليزيدي جلسيه وغريمه قائلا : انظر افي هذا
الشعر عيب ؟ .

ما راينا خربا نقر عنه البيض صقر

لا يكون المير مهرا لا يكون المهر مهر

فقال الكسائي : قد اقوى الشاعر : اي رفع
كلمة صقر ونصب كلمة مهر على انها خبر يكون : قال :

فحضر اليزيدي بقلنسوته الارض وقال : انا ابو محمد ،
الشعر الصواب وانها ابتدا فقال : المهر مهر ، اي ان
المهر مبتدا ، ومهر الاخرى خبر عن هذا المبتدا وليس
خبرا عن اسم كان ، فقال له يحيى بن خالد : اتكنى
بخبرة امر المؤمنين وتكشف راسك !! والله ان خطأ
الكسائي مع ادبه احب الينا من صوابك مع سوء فمك ،
فقال اليزيدي : لذة الغلبة انستني من هذا ما احسن .
ومناظرة اخرى في مجال النحو تقع بين الكسائي
والاصمعي في حصة الرشيد ايضا ، او هي بمعنى
اصح موقف عارض في مجلس لم يقصد لذلك ابتداء
وذلك حين اتشد الكسائي قول الشاعر :

اني جزوا عامرا سوءا بفعلتهم

ام كيف ينفع ما تعطى الملوك به

رئيسان كف اذا ما ضن بالبلن
حيث رفع كلمة « رئيسان » غرده الاصمعي

وقال : انه بالنصب ، فقال له الكسائي : اسكت ، ما

أنت وهذا ؟! يجوز الرفع والنصب والجر : فالرفع
بالابدال من ما والنصب بتعطي والخفض بالابدال من
الهاء .

وقد كانت هذه المناظرة سببا في جدل كثير بين
العلماء الذين صوبوا ذلك وخطاوا هذا ، ومنهم ابن
الشجري الذي صوب انكار الاصمعي واقر رأييه
داحضا غيره بادلة يجدها القارئ في مظانها .

ولقد كان القرآن الكريم نصيب كبير في منظرات
النحاة ، ولم يكن لمثل ان يكون بعيدا عن مثل هذه
المعالجات التي تعين على فهم اسرارها وتحليل اشاراته
وايضاح استعمالاته .

فها هو مروان بن سعيد يسأل الاخفش عن السبب
في ذكر لفظ « اثنتين » في قوله تعالى : (فان كانتا
اثنتين) مع ان الضمير في كان يفيد معنى لفظ اثنتين ومن
شروط خبر كان ان يفيد معنى ليس في اسمها : فيجب
الاخفش بان هناك تقديرا لاسم كان وهو : (من) على
معنى : فان كان من ترك اثنتين — ثم اضمر من على
معناها .

ومن المنظرات القرآنية النحوية منظرات المازني
لبعض نحاة الكوفة عندما طلب اليه الواثق قائلا : يا
مازني هات مسألة فقال لجلسيه الكوفي : ما تقول في
قول الله تعالى :

(وما كانت امك بغيا) لم لم يقل بغية بالباء وهي
صفة لمؤث فاجاب الكوفي والحاضرون اجابات غير
سديدة ، فقال الواثق للمازني : هات ما عندك . فقال
لو كان بغى على تقدير فعل بمعنى فاعلة للحقتها التاء
مثل كريمة وظرفية ، وانها تحذف في ما كان بمعنى

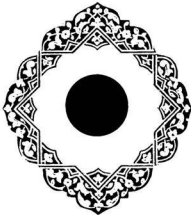
كما أن هذه المناظرات كثيرا ما تكون قد دعى إليها من قبل الخلفاء أو الولاة ممن لهم باع طويل في معرفة اللغة ووجوه صواباتها ولديهم القدرة على تأييد أو نقض ما يقال في حضراتهم من اجابات أو ردود ، ولا يخفى ما في ذلك من التوثيق والتأكيد .

يضاف الى هذا ان شهود هذه المناظرات هم حكامها في كثير من الاحيان وهو ما رايناه في المناظرة الزنوبرية حيث حكم الاعراب القميون في باب يحيى والشاهدون لما جرى في المناظرة في الاقوال التي ادلى بها المتناظرون ، وبصرف النظر عن محاباتهم الموجهة التي تشر إليها كثير من المراجع ، الا انهم في حقيقتهم كانوا قادرين على رصد الصواب واقراره اذا ما ارادوا ذلك او قصوا اليه .

ولا ينبغي ان ننسى كذلك طبيعة ما في هذه المجالس من حوار ومنافسة يجعلانها في حقيقتها محاكمات علمية تسمى جادة الى ابراز الحقائق وتوثيق الاحكام ، وهو ما يدفع اعضاءها ومؤتبريها الى حكا الاذهان وتجويد الراء وتنحيس الاقوال بشكل يجعلها بالتالي نظمن الى سلامة نتائجها ودقة احكامها . فضلا عن ان الاطراف التي كانت تناظر في هذه المجالس تمثل في مجموعها تلك الفئة الرائدة التي اسهمت في بناء علوم اللغة وانشائها وارساء اساسها ومفترعاتها . وكل ما ذكرناه في النهاية يجعلنا نؤكد بأن المجالس التحوية والمناظرات اللغوية مصدر ثر ، له قيمة علمية تحمله بكل جدارة قسبها طبعيا لكل ما عرفناه من مصادر جمع اللغة وتكوينها .

د. سمير نجيب اللبدي

الوجه الفني للغة العربية في وزارة التربية
— الكويت —



المفعول مثل امرأة قتيل وكف خضيب ، وبغي هنا ليست على وزن فاعيل بل هي مفعول ، وهذا وزن لا تلحقه الناء في وصف الثائث مثل امرأة شكور وبشر شطون فاستحسن الواثق الجواب .

وهكذا كان العلماء يتناظرون ويتساجلون حتى كونوا بذلك على مدى الأيام والعصور ثروة هائلة من اللغات العلمية والموائد الفكرية امدت اللغة بدم جديد من المعالجات العقلية وبأسلوب تحاكمي رائع من شأنه ان يقدم العلم في قالب طريف وموازنة محكمة مقاضاة . واذا كنا لا نستطيع في مثل هذا المجال ان نستعرض كل المناظرات التي كانت والتي جرت بين هؤلاء العلماء فانه يكفينا منها ان نتجزيء القدر الذي قدمناه مدللين به على ان اللغة لم تستمد فقط من آية محكمة او من قول قيل او من كلية اطلقت او من بيت شعر ، وانما استمدت كذلك كما قلنا في بداية القول من مجالس علمية تجادل فيها العلماء وتحاكموا ، وتخاصموا وتنافروا حتى توفرت لهم بكل ذلك عناصر المصدرية المعطاء القائمة على الموازنة والترجيح والمصارنة والتغليب ، شأنها في ذلك شأن غيرها من المصادر التي كانت مادة للعلماء في صنع قواعد اللغة ووضع اساسها ومركزاتها .

واذا كان ما قلنا في المجالس اللغوية يعني اثناء اللغة في ذاتها من حيث مفرداتها وتركيباتها فانها ايضا قد اثرتها من جانب آخر وهو ملء المكتبة العربية بمراجع عظيمة سجلت في بطونها مثل هذه المناظرات والمساجلات التي نجدها متناثرة في معظم كتب الادب واللغة كالبيان والتبيين والعقد الفريد ونهاية الارب والمزهر والكمال وكتب النحو بهختلف مستوياتها وعصورها ، كما نجدها في كتب خاصة بها من اشهرها مجلس ثعلب ومجالس العلماء للزجاج .

واذا ما ثبت لدينا في نهاية هذا الحديث ان المناظرات اللغوية عنصر من عناصر تكوين فروغ اللغة واحكام قضاياها ، فانه لا بد لنا من تقويم هذا المصدر تقويما يبين لنا العوامل التي تمنح هذه المجالس قوة التدليل على قيمتها العلمية كمصدر يصلح ان يكون قسبها معادلا لمصادر اللغة الشهيرة والمعروفة . ونحن اذا عدنا إليها في شتى عصورها ومفترعاتها وطبقات المتناظرين فيها نحس بأن اهم ما قد توفّر لها من عناصر المصدرية هو عنصر التوثيق الذي يشيع فيها ويطبّعها بطابعه .

موضوعات هذه المناظرات موضوعات مشهودة ، تحضرها اطراف عديدة متناظرة وغير متناظرة ، وفي كل منها قدرة على ادراك الصواب من الخطأ ورد كل منها الى وجوهه وادلته وشواهد .



روایت للکات الزنجی الأسیکی الیکس ہاپلی

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بقلم الدكتور محمود محمد الحبيب

مختصر

ويتمزق الما لالامهم وما اكثرها واعبقها ، ويتابع قصة اسرة منها هي بحد ذاتها شريحة اجتماعية لالوسوف الاسر الزوجية وهي تنمو وتكبر لتقدم مزيدا من الارقاء الى مجتمع السادة البيض في ريف الجنوب الامريكي . . ان الكاتب هيلي يجر القاريء معه طوال مسيرة قرنين من الزمن او تزيد ، وبدءا بالانسان الغامبي الافريقي المدعو (امورو) وبمشراكة وجدانية عميقة حتى يصل الى حيث تقف احداث الرواية في السبعينات من هذا القرن باليكس هيلي ، الكاتب نفسه ، الحفيد لسلسلة طويلة من الابناء والاحفاد السود الذين حملوا على كواهلهم مأساة الانسان الذي عرف الاغلال وسلاسل الحديد التي طوقت عنقه واطبقت على معصيه وكاهليه ، والذي تركت السياط الجلدية طابعا خاصا على ظهره . . طابعا حفر اللحم ووصل الى العظم وادمى الروح ايضا . .

● ماذا قيل في العمل الروائي « الجذور » ؟
لم اطلع على كل ما قيل ولكن هذه المقتطفات تعطي بعض الصورة . . كتبت مجلة نايب : « انها قصة حياة ارقاء دراماتيكية من الولادة فالخطوبة فالزواج فالوفاة ، ثم ضغط الهلع الدائم من ان يباع الرقيق الى سيد آخر فيقطع الابناء عن الاباء دونما رحمة . . انها قصة تفرس على الوتر الانساني لتبقى قويا المتعاقبة مع السطور » .
وقالت جريدة توليدو بليد : « الجذور ليست رواية خيالية ولكن الكاتب استطاع استخدام التنكيك الروائي في قصته ، ويا لها من قصة فذة » . وجاء في مجلة ملواكي : « انها قصة رائعة ودقيقة لحياة عشيرة منديكا في افريقيا كاحرار ، وفي الولايات المتحدة كارقاء » .
اما بترسبرغ برس فقلت في تقويمها لجذور « انها وثيقة قوية . . الجذور رواية ينبغي على كل المثقفين الامريكيين ان يقرأوها » .

وكتبت شيكاغو تريبون بوك ورلد التالي : « انها ملحمة الرجل الاسود في اميركا يطرحها رجل اسود . وكاي رواية تاريخية فان (جذورا) تعطي وجهة نظر طازجة للتاريخ » . وترى هيوستن كرونيكال : « منذ وقت طويل ونحن بحاجة الى كتاب يأسر اعماق مشاعرنا واخيرا وجدها في هذا العمل الادبي » وتستطرد السى القول ان هذا الكاتب الزوجي انجز عملا رائعا . .
اما المؤلف الزوجي المعروف جيمس بولسديون فيكتب : « ياخذنا هيلي الى الماضي . . الى قرينة اجداده . . فهي قضية ايمان وشجاعة ذاتية . . ومع هذا فان الكتاب عالم محبة وصفاء ، وهذا ما يجعله مسيطرا ومؤثرا ويوضح بقوة الى كيفية استطاعة كل منا ان يكون عربة للتاريخ الذي انتجناه » .

« الجذور » رواية صدرت في عام ١٩٧٧ واعيد طبعها بطبعة شعبية ولا تزال تصدر قائمة المبيعات في سوق الكتب في الولايات المتحدة . . الرواية بقلم الكاتب الزوجي اليكس هيلي الذي بات يتمتع بشهرة واسعة بعد ان تم صنع مسلسل تلفازي لروايته يراه اكثر من مائة مليون مشاهد (يعرضه حاليا تلفاز الكويت) . . وقد اتيت لي ان احصل على نسخة انكليزية من الرواية اهدتها لي مشكورة طالبتني التي خرجت غي جامعة البصرة (الانسة مي النصار) فقررتها رغم طولها الذي امتد الى ٧٢٩ صفحة من الحرف الناعم وانا احس ان هيلي تمكن ببراعة ان يشدني الى ١٢٠ فصلا فيها بشكل قوي بحيث كان يعز علي ان اترك الكتاب .
وقد انجزت النخبة الطويلة بأسبوع . .

● كمبتدا ، ف « جذور » ليست برواية بالمعنى المفهوم للنقاد بالعمل والبناء الروائي كاعمال فولكنر او غيره . كما انها ليست بسيرة ذاتية لشخص او اسرة زوجية تمتد عبر سبعة اجيال . وهي ليست وثيقة تاريخية كما نقرأ في الوثائق والنصوص . . ولعلها ، في رأيي ، تجمع تلاييب كل هذه معا وترسمها ببراعة وفكاهة ولكن بشكل روائي وحوار مبسط محبب . . وقد نجح الكاتب في هذا المسمى ، ونجح اليكس هيلي ، بعد اثنتي عشرة سنة من البحث والتنقيب والترحال وجمع الحقائق التاريخية والكتابة ، في صب « الجذور » جذور عائلته الزوجية بالذات في عودته القهظري في نفق الزمان والمكان قرابة قرنين ورعب ليصل الى المنابع الانجيلية مكانا واناسا وطبيعة ، الى غامبيا في افريقيا ، والسى عبق الاحراس في قلب ذلك القطر الافريقي ، الى موطن جده الاول ، والسى القرية التي ترعرع فيها . . وحقا فقد كان التفق طويل والسرى اطول والتجربة عميقة بكل ما تحمله الكلمة من معنى . . لقد تمكن هيلي ، وبقدرة روائي وان لم يكن الرجل روائيا ، ان يحيك خيوط قصة اجداده في نسج رائع فبدت « جذور » (رغم انها اقرب الى حكايات متسلسلة التابع والوشائج لكل جد واب وحفيد) وكأنها عمل روائي متماسك صيغ بلغة مبسطة ، وحوار بسيط ، لغة الارقاء السود برطانتهم الانكليزية بلغة قلما يحيطون بهداها ومفرداتها . . لغة تلك الشريحة السوداء التي قامت على كدحها وجهودها وعبوديتها اقتصاديات مزارع السلايات الجنوبية في اميركا في الفترة التي سبقت الحرب الاهلية بين الشمال والجنوب وصعود ابراهام لنكولن الى منصب رئيس للولايات المتحدة ثم من تلاه حتى الحاضر بكارتر . .

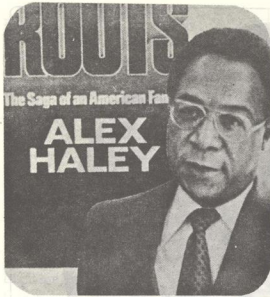
« الجذور » تشد القاريء فيمشي مع فصولها القصيرة المائة والعشرين ويتفاعل معها بعواطفه ويعيش مأساة الزوج ويفرح لانراحمهم وما اندرها ،



للنفوس ، وجداول سفن البواخر وحملتها واماكس
 وزمان ابحارها ورسوها / الاستعانة بالاكاديميين من
 اسانذة التاريخ والجغرافية ثم المختصين باللغات
 واللهجات الافريقية التي كانت سائدة قبل قرنين
 واللهجات الحالية / الاستعانة بطلبة الدراسات العليا
 من الافريقيين الذين يدرسون في جامعات امريكا وجامعة
 لندن ، قسم الدراسات الافريقية والشرقية / الحديث
 الى المسنين من رجال ونساء ممن لا يزالون يعيشون
 من عائلته وغيرهم في غامبيا بآفريقية / السفر عبر
 الاطلسي الى دكار والسنغال وغامبيا في افريقيا لتتبع
 اثر او حكاية او معلومات تلقي الضوء على جانب معتم،
 او تربط الخيوط في تسلسل منطقي / العودة الى رفوف

ونختتم براي نيويورك تايمز : « عن طريق تتبعه
 لاصوله العائلية فان هيلي انتج عملا استثنائيا فوق
 العادة . انه لا ينطق بالسنة السود وحسب ، بل عن
 المستنقا جميعا في كل مكان » .

● لم يكتب اليكس هيلي « الجذور » من على
 الكرسي الناعم بل كانت بحثا ميدانيا واسعا استفد
 جهدا هائلا ووقتا تغطي الى اثني عشر عاما من عمل
 دؤوب طويح .. انها قصة اسرة طويلة زنجية ، نحس
 بالتالي انها اسرته بالذات .. قصته تطلب معلوماتها
 السفر الى ثلاث قارات هي افريقيا واوربا وامريكا /
 العودة الى مئات السجلات في دوائر الاحوال المدنية في
 عدد من الولايات / الرجوع الى الجداول الاحصائية



مكتبة الكونغرس وارشفيفات جامعة لندن ومتحف لندن، لقد اضطر الى مراجعة التاريخ وتعميق دراساته في جوانبه : الافريقية والاميركية وخاصة في القرنين الماضيين . ويقول بهذا الصدد : « احسست بالخجل لجهلي المطبق بتاريخ افريقيا واحوالها فافريقيا كانت بالنسبة الي كما صورها عالم السينما مجرد غابات واحراش تنجس بالقردود والسوء وطرزان » .. ولم تن عزيزة النيكس هيلي رغم السوء واقتداد الخطوط احياسا فمسافر وبحث وجبع الوثائق وسود اللف الصفحات ومشى المسافات الى اعماق غامبيا .. كان يعمل وفق خط دقيق صارم اثبه بحى ضاربة اخترقت ليس مجرد عظمه بل روحه أيضا ... انها الرغبة الدافعة والسؤال العملاق الملح :

من هو كونتا كونتي ؟ من اين جاء ومتى ؟ من هي عشيرة المنديك وما جذورها واين سكنت ؟ هل هناك من بقي من عائلة كونتي ؟ في غامبيا بالذات ؟ كان الزخم الهائل الذي يدفع هيلي على سطحه هو الوصول او الرغبة في الوصول الى الاصل ، المنبت ، كل شيء يمكن ، الى قرية (جيفري) حيث عاش الجد الكبير (أمورو) الرجل المسلم فان غالبية سكان غامبيا من المسلمين .. ويخيل الي ان الاسم امورو هو تحريف او نطق محرف لاسم عمر بالهجة المنديكية ..

لم يتفك الكتاب بالوثائق التي حصل عليها بل عود الى سماع ما حدثه المسنون عن جذور الأسرة وتقلاتها بين السادة البيض الذين ملكوا ارقاب افرادها عن طريق البيع والشراء في سوق النقطة (السوق) كيف يميظ اللثام عن اصول جده امورو ، ولكن الاهم هو لقاءه في الاخر من سلسلة البحث الحضني برجل معمر في غامبيا ، وفي القرية التي عاش فيها الجد ليحدثه حديثا طويلا مسبها بما تراكم في ذاكرته الحية المتبقطة من معلومات ايدت الخطوط الرئيسة لقصة كونتا كونتي .. الرقيق الاسود من افريقيا المسراء في احضان الجنوب الاميركي المستعبد للانسان .. والافريقيون في تلك البقعة من ارض غامبيا اناس فقراء يسطوا اميون في الغالب الامم وبعيدون عن الطفرة في الحضارة والمدنية التي مشت الى العواصم والمدن الكبرى الافريقية .. ومثل هذا الرجل المعمر قد تدرب (كما نفهم من رواية الجذور) منذ صغره ليصبح عضوا في مجلس القرية ثم يصعد السلم الى المستشار الاول في شؤونها ومشاكلها وقضاها وقراراتها ، وبالتالي فهو حافظ تاريخها وتاريخ اسرها المتعددة وشيوخها وحروبهم واعمالهم ... الخ . ان ذاكرته هي ما نسميه (المايكرو فيلم) للسجل الطويل الحافل لاجبار القرية وفرادها والحي فيهم ومن قضى امله .. ولا تتف المعلومات عند عقود قليلة من الزمن بل ان مثل هذا

المر ، ويدعى بلقب مهني (كريت) يعرف تاريخ القرية لأكثر من مائة سنة الى الراء ... ويجلس كاتبها اليكس هيلي مع هذا الرجل في ساحة القرية ، ويخاطبه ثلاثة مترجمين ليحدثه المعمر (الكريت) الامي بلهجة المنديك عبا يعرف عن اسرة كونتا وابيه امورو واخوانه والزيجات التي تمت وعن اختطاف كونتا الحدث في احد الاحراش حيث اعتبر مفقودا في حينه .. وفي القرية ، قرية الاجداد قبل قرنين ، التفت العشرات من السكان من قرية جيفري حول الكاتب مدققين وصبوا عليه انظارا متتخصة منقبة وكانها سهام افريقيا تنفذ في جلده وكانها تريد تعريضه لمعرفة من هو ؟ وماذا يريد ؟

يقول هيلي : لم ينيس احد بينت شفة .. لم تتحرك اية عضلة .. شكلوا حلقة ابنوسية ذات عشرات الاحداق التي تتألق .. واحسست بالخرج وشبه القلق .. واعلمني المترجمون « انهم ينظرون اليك بهذا الشكل لانهم لم يسبق لهم ان راوا زنجيا اميركا من قبل » .. ويضيف هيلي « كنت احس بالفارق فقد كانوا سودا كالابنوس ، انهم ابنا افريقيا حقا . اما انا ، وبسبب كونتي هجينا خلاسيا فقد بدا لوني مختلفا .. كان اقل سوادا .. كان شبه حنطسي » واحسست بشعور غريب بعدم الطمأنينة .. ومع هذا علمت بقصة جذوري » .



● **بنية الرواية :** لنعد الآن الى بنية الرواية التي قامت على هذا البحث الطويل .. المبتدا مع الجد الاول (امورو) الذي تزوج امرأتين في قرية جيفري في غامبيا الافريقية .. ومن سيرة هذا الجد وانحدار ابنائه ينحدر ايضا مائة وعشرون فصلا تقوم عليه رواية الجذور ... ومن ثلاثة اولاد لامورو نقف عند واحد منهم هو (كونا) الولد الاول البكر الذي يعتمد الروائي على تتبع سلسلة احفاده طوال ترينين من الزمن . وعلى مسيرة سبعة اجيال متتالية .. والتحرك كان من سنة ١٧٥٠ تقريبا لغاية ١٩٧٦ .

ان التسلسل كما استشفه من تراعي لرواية الجذور هو كالتالي :

يصبح الابن (كونا) يانعا في السابعة عشرة ، وفي يوم ما وهو في الاحراش لانتطاع جذع شجرة لصنع اطار طبل لاخته الصغير يفاجئه رجال تجار الرقيق الاسود فيقتنصونه ويشدون وثاقه ويضمونه الى عشرات من سيئي الحظ من اقاربه في رعييل مقيد من الاعناق والسواعد ويأخذونه الى معسكر على مصب نهر غامبيا حيث يتم شحن قرابة ١٤٠ عبدا في سفينة انكليزية باخرة الريان ديفز وجهتها ميناء انديانابلس في شرقي الولايات المتحدة .. وكانت سفرة مرهقة تكسب فيها الارتساء مسمرين الى قاع السفينة بقبود حديدية .. وخلال السفرة مات ثلثا العدد من المرض والانهك وسوء التهوية والتغذية .. وكان رسوها في عام ١٧٦٧ حيث بيع السود الى تجار الرقيق ثم يبعوا في مزارع التبغ والقطن .. ويبيع كونا الى مالك مزرعة يدعى وولر بمبلغ ٨٥٠ دولارا فسماه (توبي) رغم اعتراض كونا على الاسم اذ ان من حق السيد اعطاء اسم جديد للعبد ويحمل لقب عائلة السيد ايضا ، فهو توبي وولر ... وادرك توبي انه فقد هويته الشخصية الآن الى جانب فقدانه لحرية .. وهكذا اصبح رقا في مزرعة في سبوتسويلامينا بولاية فرجينيا رغم انه ظل رافضا لقرده ..

كان (توبي) متبردا منذ ان اوثقوا ساعديه في احراش غامبيا .. كان تبرده عنيفا ، ورفضه لعبوديته عاتيا ، يمور ويغور في داخله رغم هدوئه السطحي .. كان يحلم بحريته المسلوقة وبالعودة الى افريقيا والى قريته وامه وابيه وشقيقه الصغيرين ، ولكن المسافات والبحر العريض تمتد بينه وبينهم وهو يجهل المنطقة حوله الا في حدود كوخه والمزرعة .. كيف يعمل والحرية مجرد حلم وفكرة ، فهل يبلور الحلم الى حقيقة ، والفكرة الى واقع وعمل ؟ هذا ما اراد وسمى وخطط اليه طوال اسابيع رغم قبوده والحدود الضيقة المسجوح له بالتحرر فيها .. ولكن توبي صمم ونفذ وغر في جنس

ليل من مزرعة سيده وظل ينتقل في ارض مجهولة جاعا هلعا حتى تمكن صائدو الرقيق الفار من الاطاحة به ففأوشهم وصاولهم واثار خفيظتهم لعناده .. ولم يستسلم بسهولة . وبغياق القانون وسيادة كلمة الرجل الابيض فقد خيره بين القتل او بتر نصف قدمه فاختار اهون الشرين ، وهكذا هبط فأس حاد النصل فاطار نصف قدمه اليسرى .. وصرخ توبي صرخة مدموية من الالم وسقط مغشيا عليه وكأنه يريد ان يصل صوته الى اهله في احياق غامبيا البعيدة . ونقل الى المزرعة

كو ، والنهر يدعى بولنغو ، والنهر الكبير الذي في بلده هو كامبي بولنغو .. ومع السنين وحينما زادت مفرداته البسيطة بالانكليزية اخذ يقص على ابنته الصغيرة بعضا من ماضيه ، وكيف عاش في القرية ، وكيف اسره البيض وكيف شحونه بسفينة الى الارض الكبيرة ، وكيف باعوه وسلبوه حريته .. كان هناك اصرار قوى منه ان يربط طفلته (كزي) بالماضي ويحفر في ذهنها البائع تاريخ حياته وحياته ابيه وعائلته وقريته .. انه يريد لها ان لا تنسى افريقيا واباها « الافريقي » ، ولا تضع الصور الاصلية الحرة النقية تحت كابوس العبودية ، ومحاولة السيد الابيض لصر الرقيق في هذا الكابوس الاسود .. كان توبي لا يزال يحلم بالحرية واستعادة انسانيته المفقودة .

وفي سن السادسة عشرة بيعت (كزي) الى صاحب مزرعة اخرى ، ولم تنجح توسلات وبكاء ابويها .. انها عبدة وللهالك ان يتصرف بملكته كما يشاء .. وانتقلت (كزي) الى مالك جديد هو السيد (توم لي) في مزرعة صغيرة في ولاية كارولينا الشمالية .. وكما يحدث في المزارع والسلوكية الرعناء لكثير من السادة البيض فقد اغتصبها توم لي بوحشية ومزق داخلها وتسلل من الكوخ .. وتكرر ذلك مرارا ، فحصلت وانجبت طفلا ، هو الفن الجديد نفسه (جورج) .. وحين بلغ الخامسة بدأت الما كزي تقص عليه بدورها قصة جده الافريقي المدعو (كونتا) والمعروف بتوبي .. وتتلاخظ في السياق وطوال مجيء الاجيال القادمة ان حكاية القصة وتلتين الصغار بطرف منها سيظل ساريا وكائه مشعل ينتقل من يد الى يد .. وكبر جورج واسند اليه العمل كمساعد لقن اخر يقوم بتربية وتدريب الدببة على المباراة في مباريات « عراك الدببة » . وهذه هواية صاحب المزرعة بل مصدر دخله الاول من ربحه في المراهات الكبرى اثناء هذه المباريات .. وكانت مزرعته مشهورة بهذا النوع من التدريب وتربية دجاج مقاتل ، ولديه مدرب قن يجيد عمله ، وهو الذي عهد الى جورج بمساعدته فاحبه وتوسم فيه النباهة وعليه اسرار التدريب .. ويطل العام الثامن عشر على جورج ويطل معه الحب العارم لفقا تدعى (ماتيلدا) فيتزوجها .. ومن قبل هذا ونظرا لارتباط جورج الدائم بقسن الدجاج فقد اطلق عليه جباعته السود لقب الكنكوت جورج ..

وتنح ماتيلدا كنكوتها جورج خلال سني الزواج ثمانية اولاد وبنات هم امتداد للشجرة الافريقية .. ومع كل ولادة فان الكنكوت جورج يبدأ بعين ما تعودت امه (كزي) ان تعمل واوصته بعمله : ان يقص على الوليد الصغير قصة كونتا كوتني ، الجد المخطوف من افريقيا



حيث — لحسن حظه — قد بيع الى طبيب هو شتيق صاحب المزرعة .. واستطاع هذا بعد مداواة لايسام طويلة ان ينقذ حياته من تسمم في القدم كاد ان يحصل .. ثم عهد اليه ان يعمل في حديقة المنزل فعاخته لا تسمح لسيدته باستغلاله في حقول القطن .. وتزوج توبي فرزق بابنة دعاها (كزي) .. ومن هنا تبدأ عملية حضور واع اذ عندها بلغت الرابعة من العمر راح توبي يلقيها قصته بالانكليزية مهشمة ، ويعلمها اساء بعض الاثياء بلغة المنديكا .. لغته الاصلية ، فالتقثارة تسمى

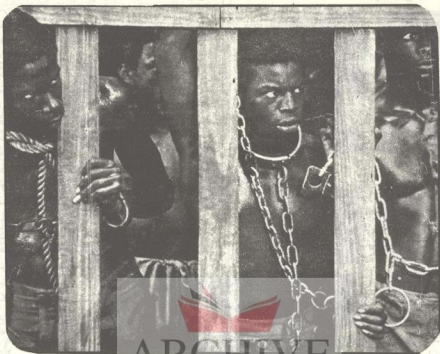
وتتعرف فيها على طالب زنجي طموح ويتميز بالرجولة يدعى (الكسندر هيلي) فيزوجان .. ويرزقان بعد ذلك بأول طفل سميها (اليكس) .. ثم رزقا بولدين .. واليكس .. هو .. صاحبنا .. مؤلف هذه الرواية .. وهكذا انحدرت سبعة أجيال من صلب الجسد الإفريقي كونا كوني ..

● ماذا يطرح اليكس هيلي في روايته الطويلة الجذور ؟

أشرنا الى شريحة من تقويمات أبادها نفاها ومعلقون على الرواية .. وأشرنا ايضا الى راينا الخاصة في هذا العمل الروائي فقلنا ان « جذورا » ليست برواية قائية على بنیان روائي متكامل ووفق معايير النقد الادبي المعاصر ، مقارنة بأعمال روايين معروفين ممن تناولوا الشرائح الاجتماعية عموما ، او المجتمع الزنجي الأميركي على وجه الخصوص .. انها اقرب الى « صور قلبية » تناولت عبر حوار شيق حيوات نهاج منتقاة من عائلة كونا في مساهمات التاريخي على خط قرنين من الزمن .. ان هذه الصور القلبية قد صيغت بشكل روائي واسلوب شيق محبب اعطاه « الجذور » ليست مجرد حياة كونا كوني الإفريقي بل وصفا دقيقا ، ولو انه سريع ، لأجيال متسلسلة من « أسرة واحدة » ربط اليكس هيلي بين ابنائها بدءا بالجد الكبير (أمورو) في إفريقيا وانتقالا بابنه المخطوف (كونا) وانتهاء بالفخيد (اليكس) واخويه جورج وسيزر .. كما ان رواية الجذور ترسم لوحة فنية غنية بالالوان — رغم قناعتها أحيانا — لمزارع الجنوب في ظل اقتصاد عبودي ، وكيف كان يولد ويعيش ويموت مئات الآلاف من كادحيه الرقاة السود .. ان قصة الزواج الإفريقيين في عالم الجنوب القاسي بتقاليده ، والاقسى بسادته ، والاعنف ببيئته والعبودية التي فرضها على المجتمع الزنجي ، واسواق النخاسة فيه ، وانتهاكه لحرمان واعراض النسوة السوداوات وكانهن بغايا عبودية نفسها .. انها عرض صريح ، ولو بشبه استحياء ، لعالم النخاسة حتى الحاضر ولو ان النخاسة اختفت عمليا .. لقد اصبحت الرواية مسلسلا تلفزيونيا عرض في امريكا وشاهده عشرات الملايين من البيض والسود فأكسب الكاتب وروايته شهرة واسعة .. وراينا معظم حلقات المسلسل « جذور » — من على شاشة تلفاز الكويت ولو اني لمست ان المسلسل لم ينفذ (حوارا ومشاهد) الى العمق الذي أحسسته في قراعتي للنص .. هناك قفزات ولمسات ضاع فيها الوهج الذي تالق في النص الذي وضعه هيلي في روايته. ولعل السيناريو افقد الرواية الكثير من حرارة المواطن

.. وقد حرص الكتكوت جورج ان لا تموت القصة وان تعبا في ذهن كل طفل ليظل ، فكريا على الاقل ، ملتصقا بأرض الاجداد وبلد بعيد وراء بحر عريض يسمى غاببيا .. وكبر هؤلاء الاطفال ليستمر التسع الفوار متحركا .. ومن المجموعة يقف الكاتب عند واحد منها هو (توم) الذي تعلم مهنة الحدادة في مزرعة السيد (لي) وبدأ يمارسها لحساب السيد .. ويصاب صاحب المزرعة ، الهاوي / الحترف للمبارزات الديكة بخسارة مالية ضخمة نتيجة خسارة ديكه امام ديك هاو اخر قدم من انكلترا في تحد للمبارزات .. واضطر (لي) ان يرهن بيته والجزء الأكبر من مزرعته ويبيع عدد من ارقائه سدادا لهذه الخسارة التي زلزلته واسلبته الى تدهور مالي واقتصادي وصحي سريع .. وكان ضمن شروط تسهيل دفع الديون موافقة السيد لي على اعارة خدمات الكتكوت جورج للسيد الانكليزي لتدريب ديكته لمدة سنتين في انكلترا .. وهكذا اضطر جورج (ولا خيار له هنا) الى السفر ولكن سيده توم لي تعهد له بورقة مكتوبة انه سينحله الحرية عند العودة ثوابا لخدمة امينة قرابة اربعين عاما .. اما توم الابن وبقيّة عائلة الكتكوت جورج فقد انتقلوا الى ملكية السيد الجديد (مرفي) .. وبضئ الايام ينمو في قلب توم حب لفنائه يملكها السيد (هولت) مالك الأرض المجاورة لمزرعة مرفي فيزوجها بعد ان وافق هولت على بيعها الى (مرفي) لكي يعيش الزوجان الرقان على مزرعة واحدة .. ويدور الفلك فتنجب الزوجة (آيرين) ثمانية اطفال ويسمعون بدورهم قصة جددهم كونا الإفريقي .

ومن اطفال توم وآيرين يقف الكاتب ايضا عند صفراهن (سنثيا) التي وهي في الثانية من العمر رات وعاشت فترة انعطاف مهمة في تاريخ الولايات المتحدة ، فترة انتهاء الحرب الاهلية وانتصار الحكومة الفدرالية (الشمال) على الولايات المنسلخة (الجنوب) واصدار وثيقة عتق الرقيق الاسود وزوال عهد العبودية .. ورات الطفلة عبودة جددها الكتكوت جورج من انكلترا .. ورات ايضا مبارحة العائلة ككل المزرعة التي كدحوا فيها كآراء لسنوات طويلة ، وسفرها مع عشرات العائلات الزنجية من مزارع اخرى الى مدينة جديدة ليبدأوا جديدا ما دعاه الكتكوت حياة حرة حيث لا يملك انسان ابيض انسانا اسود كما يملك حصانا او محراثا .. وتستقر الموائل في بلدة هنغ ، وتكر سنثيا ، ويتم زواجها من شاب زنجي ميسور الحال يدعى (ول بالمر) وتنجب بنتا سميها (برثا) التي تتربى في بيت نعمة ودخل جيد .. ولم يخل عليها ابوها بحياة مدللة ومرفهة وطلولة ناعمة فتتعلم الموسيقى وتلتقي التدريس في البيت ثم تكمل الدراسة الثانوية وتنقل الى الكلية



ARCHIVE

كونتا هيلي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وأرى أيضا ان الكاتب اليكس هيلي لم يصرح بشكل مباشر بشجبه للنظام العبودي في امريكا القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ولا النظام الرأسمالي الصناعي / الزراعي / الخدمي المعاصر في تعامله مع السود (الملونين) والاقليات الاخرى ، ولم يرسم صورة حية لواقع الزنوج الحاضر الذي ، ولو انه محقق العبودية ، ولكنه التف حولها فبنى الف حاجز بين المجتمع الابيض والمجتمع الاسود في الوظيفة / في السكن / في التعليم / في بيوت الله الكنائس / وفي وسائل النقل .. في كل هذه لا تزال في الشمال عامة ، وفي الجنوب خاصة ، لانتات تقول بالبنط العريش « خاص بالبيض » و « خاص بالملونين » .. واين اليكس بصلته الطويلة امام مساوىء القرن العشرين في تعاملهم مع احفاد كونتا كونتي .. ان كونتا لو ظهر من قبره لقال لحفيده اليكس « لم تتغير الصورة الا في المظهر فلا زال المجتمع الابيض (الديمقراطي) يلهبكم بسياطه يا افريقيون يا ابناء كونتا الافريقي » .. نعم .. لم يحاول كاتبنا ان يصرح

والمشاعر التي احسستها وانا اعيش مع تلك الشريحة الزنجية من عائلة كونتا ..

ان ما كتب هيلي « يقع ضمن السرد التاريخي التدريجي وعلى اساس تعاقب اجيال سبعة من اسرة كونتا .. ونجد في الرواية التراجميا والمرح والميلودراما » كما قيل فيها .. وجاء في مجلة اساق عربية (بغداد) وفي تقويم للرواية في ضوء اراء مطروحة « الايديولوجيون يرون في اسرة كونتا كونتي فائدة اجتماعية تخدم قضية تقوية الروابط العائلية الممزقة ورمم الهوية القائمة بين الاجيال .. اما النقاد البراليون فانهم يعتقدون ان هيلي يمس المشاكل الملحة للمجتمع البرجوازي المعاصر » . وارى ان الشق الاول صحيح ولكن الشق الثاني لم يبرز في الرواية فالمعالجات مست ما جرى في المجتمع العبودي الاميركي لارستقراطية الجنوب التي اجاد فولكر ، ومؤلفه (ذهب مع الريح) وصفها بدقة وصراحة اكثر مما فعل هيلي ، رغم كونه صاحب المشكلة ..



كأحسن عمل أدبي لذلك العام .. ولن اعجب اذا تحولت الرواية الى قصة سينمائية تدر عليه كلا من الشهرة والمال ايضا .
ولكني ادري ...

ان هيلي رسم لوحة فنية عميقة وغنية لاجتماع الارقاء السود في ظل العبودية ، وانطق ابطالهم بلغتهم البسيطة ، اللغة الانكليزية التي لا زال ابيو السود يتحدثون بها حتى اليوم .. وبهذا ككل اصاب هدف النجاح ...

لقد نجح اليكس هيلي ككاتب سردى تاريخى روائى .. واخفق كصاحب مبدا .. وصاحب قضية .. والمشكلة اي الكفتين هي الارجح والا هم في ذهن هيلي ؟

لا استطيع التكنن ولست بمنجم ..
اها بعد .. فتهنئة للكاتب اليكس .. حفيد كوتنسا كوتني ..

الدكتور محمود محمد الحبيب
جامعة البصرة
كلية الادارة والاقتصاد



برايه بمراحة ولكنه ترك الصورة غير المباشرة تنطلق احيانا على السنة ابطال روايته ، ولعل اشجعهم في التعبير كان كوتنسا ، وتوم ، ثم بضعة زنوج من عوائل لا تبت الى كوتنسا بصلة ولكنها شاركته تمرده وتأييدها الساحق للثورة ، ثورة الحكومة الفدرالية ونقمة لتكون على اخلاقيات الجنوبيين .. لقد قيل ان هيلي اراد ان يبرهن على ان الزنوج حلوا لواء ثورة ، ولكني لم ار ظلا لذلك .. فنبشح تحركات لتجميعات زنجية ناقصة احتمت بعطف الشمال لم تخلق لا « الوعي » ولا « الإرادة » السوداء لثورة كهذه .. معنى هذا ، وانا اتفق مع بعض المؤيدين لرواية هيلي ، انه لم يبلغ مستوى وليم فوكنر وجيمس بولدوين وسنكلير لويس ممن عالجوا (حرية الانسان الاسود) وتناولوا موضوع (العبودية) .. لكني لا اتوقع ان تكون منصفين للرجل هيلي اذ لم يكن روائيا بل صحفيا تميز بأسلوب جيد ، وصب هذا السيل من الوثائق بشكل روائى .. ومع هذا فهو يملك القدرة ولديه البذور الجيدة .. واتوقع ان هيلي قد وضع قدمه الان باطمئنان على درب كتابة الرواية .. واتعمش الرواية الجيدة مستقبلا .. لقد برهن ان لديه المؤهلات لعمل ناجح اذ لم يفقد قلبه الحرارة طوال ٧٢٩ صفحة ، وكان بإمكانه ان يكون شجاعا وصريحا وذا بدا فيتحدث بكل صراحة ويشجب ويندد بالنظام العبودي ماضيا ، والمجتمع الرأسمالي حاضرا .. والشجب والتنديد وتزييق القنينة ليس بالضرورة الثورة ، وعليه لماذا قدم هيلي خطوة تسم تراجع ؟ .. اني لاحظ ، وبموضوعية ، انه ظل « امينا » فلم يبتغ توجيه لطلبة قاسية لنظام يعيش فيه ، بل اننا نفهم انه رأى بان الشريحة الزنجية بدأ بسنفا وزوجها بالمر حتى اليكس قطعت مسارا جيدا على درب الحرية التي منحتم اياها امريكا ما بعد الثورة ..

● ومن يدري ، فلعل الهدف الاساس السذي استنزف ١٢ سنة من البحث والكتابة هو لمجرد اكتشاف جودره .. وقد نجح هيلي في هذا .

ومن يدري فلربما اراد ان يصور كيف ان الحفيد (اليكس) استطاع هو وابوه الكسندر هيلي ان يحتل مكانة مرموقة في المجتمع فالابن كاتب مرموق ، والاب استاذ الاقتصاد الزراعي الذي ، بعد وفاته ، تم اطلاق اسمه على شارع في الجامعة تقديرا لمعلمه ومكانته .. وقد نجح في هذا ..

ومن يدري ، فلعل هيلي سعى الى تجربة كتابة قصة هي الفريدة في نوعها من زاوية تتبع مركبة التاريخ ولكن الى الورا ، وبشكل روائى .. وقد نجح هنا فالجذور يبعث بهلايين النسخ ، واصبحت مسلسلا واسع الشهرة ، وحصل هيلي على جائزة كبرى على الرواية



أضواء على حياته وشخصيته وفنه

— الحلقة الثانية —

المصلح السياسي :

اطلع شيلى على كتاب « العدل السياسي » سنة ١٨١٠ حين كانت شهرة « غودون » قد خمدت ونسيه الناس . ولم يدرك شيلى ان بطله الحبيب ما زال حيا يرزق . وما كاد يعلم بذلك حتى بادى الى قلبه وسطر رسالة اعجاب حارة مخصصة الى معلمه الروحي .

رحب « غودون » بهذا التلميذ المتحمس اليافع لكنه لم يؤيد آراءه في امكانية اصلاح المجتمع عن طريق المغامرات الفردية ، وشرع ينصحه بالكف عن محاولاته . لكن صبر شيلى بدأ ينفد ، فصلاح الاحوال لا يبدو قريبا ، وضميره يوبخه على التقاعس والخمول ، لان

رسالته في الحياة كانت تنوير البشرية وابقاؤها من غفلتها . ماذا يفعل اذن ؟

حزم حقايقه وحرص ان يخفي بين ملايسه ١٥٠٠ نسخة من اخر مؤلفاته السياسية ، وكان كراسية بعنوان (رسالة الى الشعب الايرلندي) ، وتوجه مع زوجته (هاريت) الى دبلن عاصمة ايرلندا . وحالما بلغا البلدة ، بدأ يوزع الكراسيات بطريقته الخاصة . كانت ستون نسخة منها حصة فنادق العاصمة . اما البقية فكانت حصة عامة ابناء الشعب ، كان يقف في شرفة احد المنازل ، ويقذف بالكراسيات في الهواء ، فتتحلها الريح الى كل مكان ، ويطلع عليها المارة بالصادفة !!

عزبه على أن يلتفت الى اصلاح احوال بني قومه من الانجليز ، فما هنا مجال للعمل كبير .

بدا شيلى يؤلف الكراسات السياسية الواحدة تلو الأخرى ، فكتب أولا كراسة بعنوان (اعلان الحقوق) ثم (مسيرة الشيطان) وغير ذلك من الرسائل السياسية التي كانت تستند بأفكارها الى فلسفة الانجليزى المعروف : توم بين Thomas Paine ، والى الحقوق الإنسانية التي نادى بها الثورة الفرنسية . ولكي يضمن وصول مؤلفاته الى ايدي أبناء الشعب فقد كان يربط الاوراق ببالونات طائرة أو يشدها الى القناني الزجاجية ويرميها في مجرى النهر ، ليلتقطها من يشاء !!!

شهدت اوربا عام ١٨١٢ انتصارات ولنجتن ، وتراجع نابليون بونابرت عن موسكو . اما في انجلترا فقد حدث قط في حيوب الذرة ذلك العام ، وسادت الاضطرابات في المعامل وانتشرت ظاهرة تعطيل المكين . وفي (يورك) شنت السلطات البريطانية سبعة عشر

كانت الكراسة تتضمن نصائح (انجليزى محبب للايرلنديين) وتتخلص بما يلي :

ان شيلى المطلع على احوال يحذر الايرلنديين من الاستناد الى الوعود الزائفة للسلطة القابضة في لندن ، ومن الاعتماد على مناهج حزب الاحرار الاصلاحي ، كذلك يحذرهم من التعصب الديني والتحيز الطائفي ، ويبين لهم اخطار العنف الفوقاني ، ويحثهم على الاعتماد على التطور التدريجي في اصلاح المجتمع وتبديل نظامه السياسي بعد حصول الشعب على الثقافة ، وتفهيمه للثقل الاخلاقية العليا . وذلك يحتاج الى وقت طويل يتعلم فيه الناس معنى العدالة والسلام . ولن يسود السلام برأيه الا بالتمسك التام بالاخلاق الفاضلة ، وتجنب الشهوات والابتعاد عن المسكرات بكل انواعها ، وبالانصراف التام الى العمل والنظام والتأمل الفلسفي واصلاح الذات وتقوية الإرادة .

ولا شك ان الذين كلفوا انفسهم عناء قراءة الكراسة ، حصلوا على ضحكة طويلة بسبب مثالية هذا الشاب الانجليزى الذي طلع كل تلك الكيلو مترات ليقول لهم تلك المواعظ المعروفة .

والواقع ان هذه الرسالة كانت موجهة الى عامة الشعب ، اما الخاصة ، والطبقة المثقفة فقد اتخذها شيلى برسالة اخرى عوانها (مقترحات في الاتحاد) كتبت بأسلوب مصقول وموجز ، وهي تطلب باتحاد انساني بين انجلترا وايرلندا ، يهدف الى تعزيز تحرير الكاثوليك ، ثم يختم الكراسة بنداء موجه الى كل قاريء يشاركه اراده الانسانية ، للاتصال به فوراً على عنوان عينه . لكن استجابة المثقفين الايرلنديين كانت صفرًا !

اذ لم يحصل على رد من احد لكن شيلى لم ييأس ، وفكر بخطة اخرى ، حضر احد اجتماعات الجمعية الكاثوليكية ، ووقف يلقي خطابا في المجتمعين . لكنه حالما بدأ يتحدث عن القضايا التي تم الطائفة الكاثوليكية ، اسكته الجمهور ، ومنعه من التدخل في شؤون طائفتهم !

والواقع ان الايرلنديين ظلوا ينظرون باستفهام واستغراب الى ذلك الشاب غير الكاثوليكي الذي جاء يؤيد دعاوهم الطائفية ، ذلك الانجليزى الذي يجهد نفسه في تحليل نقائصهم القومية ، وهو غريب عنهم ، فلا عجب ان يقابلوه بالاهمال التام .

انتهت الرحلة الى ايرلندا بالفشل الذريع وعاد شيلى الى انجلترا دون ان يشعر بالندم او الاسف على ضياع جهوده . والواقع ان هذه التجربة الفذة اعطت شيلى خبرة كبرى في الشؤون العامة ، لاسيا بعد اطلاعه على الاوضاع المحزنة التي يعيش فيها قراءه دبلن ، فاستدعت كآبته من جهة ، وترسخت افكاره الثورية الاجتماعية في نفسه من جهة اخرى . واستقر



ترجمة
وتلخيص

احسان الملا نكتة

عابلا . واحتل الجيش مناطق المصانع وتوقع أبناء الشعب انفجار ثورة عارمة ، ثم وقع حادث غريب اذ استطاع احد المتطرفين ان يفتل (سبينسر بيرسفيل) رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت . وعلى اثر هذا الحادث تصاعدت حوى المطالبة باصلاح البرلمان البريطاني ، ومن ساهم في هذه الحيلة : شيلى ، اذ اتفق بعض المال من اجل نجاحها . وقد توج هذا النضال من اجل اصلاح البرلمان فيها بعد باعلان (قانون الاصلاح) سنة ١٨٣٢ . وطفقت السلطات البريطانية تعد شيلى ، من مصادر الخطر عليها ، فلاحقه رجال الاستخبارات ، وقبضوا على خادمه — ذات يوم — حين كان يوزع كراسة شيلى (اعلان الحقوق) ، فاضطر شيلى الى الفرار من البلدة . وتوجه الى لندن .

WordsWorth ودي كوينسي De Quincey وسوثي Southey الذي كاد أعجابه غودون في باديء الامر يبلغ حد العبادة ، ثم كوليرج Coleridge الذي ذكر في إحدى سويتياته (انه مستعد ان يبارك قيادة غودون القدسة لجميع الشائرين !) . وحتى الكاتب الرصين : كراب روبنسون Robinson اعترف في اواخر حياته بان هذا الكتاب وجه خطاه على مدى ايام الحياة .

ان اهم ما اثار حماس هؤلاء الادباء لغودون ، هو آراؤه الانسانية المضنية . فقد آمن بان الانسان قابل للتطور تدريجيا الى ان يبلغ مرحلة الكمال - نسبيا - وان الصفات الخلقية ومستويات الذكاء انما تكونوا البيئة ، وتتولد عند الانسان بالاكتساب ، وليس عن طريق الوراثة او الجنس او العمر . ثم انه تنبأ بان اصلاح المؤسسات القانونية المختلفة للدول من شأنه ان يؤدي الى سيادة نزعة الخير بين البشر جميعا ، وعندئذ يمكنهم ان يحققوا لانفسهم السعادة الحقيقية وتعرفهم فوقهم راية السلام والاخاء والمساواة . لقد رفض التناولات الطبقي وابغضه وانتقد بشدة النفاق الاجتماعي . وكان تناوله في حنية انتصار الخير ، وايانه بالطبيعة الخيرة ، يثير حماس جميع المثاليين والتقدميين ، وكانت حججه وبراهينه ترضي ضمائرهم فيؤيدونه من سيم تلوبسم ، ويقفون الى صفه دون تردد .

من الجوانب العائلية التي وقعت لشيلي هذا العام ان زوجة (مارييت) وضعت ابنتهما الاولى (ايانة) . وبعد ذلك بعام قدم ولدها (تشارلز) . ومن الذين تعرف اليهم شيلي في هذه الفترة صديق كان له تأثير كبير على معتقداته . كان يدعى (نيوتن) وكان يدعو ويؤمن بحركة انتشرت في تلك الايام وهي حركة العودة الى الطبيعة . وكان اصحابها - وما زالوا - يدعون الى التخلي عن الملابس جللة ونبد عادة اكل اللحوم - لان الانسان في رايهم نباتي التركيب ، وقد اكتسب فيما بعد عادة اكل اللحوم - ثم الانتصار على الاطعمة النباتية حسب الاعتقاد شيلي و هو غ ان يقضي مع أسرة « نيوتن » ذات الاطفال الخمسة ، اوفانا طويلة .

مضايقات عائلية :

كانت هاريت حين تزوجت شيلي ، فتاة غرة لم يتشكل عقلها بعد . وفي اول عهدها معه ، اندفعت بحماس في تأييد آرائه والايمان بها ، وكانت تقرا معه وتحاوره في مواضيع مطالعته ، بحية الشباب وانذفاع الحب ، فكان يجد معها سعادة لا مثيل لها ، وكتب لهاريت قصيدة يعبر فيها عن نشوته بحياته الجديدة .

في لندن تعرف شيلي بالروائي توماس بيكوك T. Peacock الذي سيكون - من اصدق اصدقائه ، وهو الذي حفز شيلي على تعميق دراسته للادبيين الاغريقي واللاتيني، ومن تعرف اليهم شيلي في هذه الفترة ايضا : الناقد المعروف ليه هانت Leigh Hunt وما كادت عرى الصداقة تتوثق بينهما حتى وقع حادث افسد على (ليه هانت) اياهه فلقد كان هذا الناقد يصدر مع اخيه : جون ، صحيفة دائمة الصيت اسبلا : الباحث Examiner وحدث ان كتب (ليه هانت) مقالة سخر فيها بشكل غير مباشر بالامر الوصي ، واطلق عليه لقب (ادونيس السمين ذي الخمسين عاما) مما اثار نغمة الحكومة ، وسبق « ليه هانت » مع اخيه (جون) ، الى المحاكم ، ثم صدر بحقها قرار يقضي بسجنهما لمدة سنتين وتغريمهما ببليغ قدره الف باون . اشتد غضب شيلي وحزنه لما اصاب صديقه وحاول ان يصنع شيئا لمساعدته في محنته . فارسل اليه وهو في السجن مبلغ عشرين باونا كهدية ، لكن الهدية رفضت مع الشكر واغن (ليه هانت) انه في غير حاجة الى المال .

وفي اثناء ذلك تعرض شيلي نفسه الى هجومين غامضين ، وخيل اليه ان رجال الشرطة يحاولون الايقاع به . ثم اوصله تفكيره الى قرار نهائي . لقد فهم اخيرا ان شابا وحيدا مثله لا يستطيع ، وهو يغير أعوان ، ان يغير العالم او يسلحه بجذوة نظرات وآراء خاصة ، لا سيما ان ناصحه الامين - غودون ، كان لا يفتأ يلح عليه بالكف عن محاولات الاختلاخ الفزدي للجميع . وكان غودون نفسه نظريا في اصلاحاته الاجتماعية . ولم يعمل في النطاق الواقعي اطالما .

كانت حصيلة السنتين الاخيرتين قصيدة كبرى عنوانها : الملكة ماب Queen Mab ارسلها شيلي للنشر سنة ١٨١٣ وتحتوي على الفين وثلاثمائة سطر من الشعر ، تعكس معتقدات شاب ثوري لم يتجاوز عاه العشرين . وكثير من آرائها مستقى من كتاب غودون (العدالة السياسية) . فلقد وقع شيلي تحت تأثير هذا الكتاب مثلما وقع تحت تأثير جميع المثقفين الانجليز المؤيدين للثورة الفرنسية عند انتجارها ، فلقد وجدوا في هذا الكتاب (النظرية) التي كانوا في اشد الحاجة الى الاستناد عليها في نقد النظام الانجليزي ، وثبتت افكارهم الثورية . ويكفي ان نقتطف بعض تعليقات المعاصرين لشيلي عن الكتاب لنندرك مدى اهميته عندهم .

يقول الناقد (ليه هانت) : (لا تعرف عملا فكريا وجه ضربة مميتة الى الفكر الفلسفي لبلدان مثل هذا الكتاب المجيد) وقد شاركه هذا الراي كل الكتاب والشعراء الانجليز الكبار في تلك الفترة مثل : وردزورث

ثم ولدت (ايباتة) ، وجاءت (اليزا) أخست هاربيت لتقدم لها المعونة وتعنى بشؤونهما . ومن يومها تبدلت الحال . فقد تبدد الهناء بتدخل اليزا في كل صغيرة وكبيرة من حياة اخنها ، وزاد الطين بلة ان هاربيت راحت تنغمس بشكل مبالغ فيه ، بالعناية باتانتها ومظهرها في حين كانت الطفلة ايباتة في اشد الحاجة الى رعاية امها . ولم يكن هذا كل شيء . ذلك ان آراء هاربيت الثورية تغرت ، وصار هها ان تنفذ آراء شيلى لجفافها للعرف العام ، وتلج عليه ان يتبنى آراء والده ، المحافظة ، ليعود الصفاء بينهما ، وتحصل هي وزوجها على المكاسب الاجتماعية والمركز المرموق الذي ظلت تحلم به منذ ان فكرت بالزواج من ايسن البارون !

وفي مطلع سنة ١٨١٤ بدأ شيلى يشعر بانه بلغ مرحلة الاعياء ، وتنفذ صبره ، وطفق يترك المنزل ساعات طويلا ، باحثا عن راحة البال في الخارج بعيدا عن المشاكسات ، وكتب قصيدة عنوانها (الندم) توحى بانه يتبنى لو استطاع ان يحطم حياته الزوجية .

الحب :

كان شيلى كريم النفس ، مبسوط اليد لا سيما مع الذين يحبهم ، وكان يقوم بالاتفاق على كثير من مآثره من ماله الخاص الذي لم يعرف يوما ان يحرس عليه او يهتم بهمه . وحين تم التعارف بينه وبين فيلسوفه المعبود وليم غودون ، بدر الى مد يد المعونة اليه ، محاولا التخفيف عنه بكل وسيلة . ولكن غودون كان مقللا للفوضى في الاتفاق . وكان مسرفا جدا . وفي ذلك العهد كان المثقفون يرون ان من صفات العبقري ان يكون قليل الدراية في تصريف الشؤون المالية لانه لا يابه بالمال . ومن ثم فلا بأس عليه اذا استند الى كرم انسان شقيق يرمى شؤونه المادية ، وينفق عليه بسعة ، ولا يجد اية غضاضة في ذلك .

ولما كان غودون قد وجد لدى شيلى اشد الإعجاب بعبقريته ، غاته ثم يشأ ان يرفض اعانات هذا الثرى سليل الارستقراطية . وفي هذا الوقت كان غودون مدينا بمبلغ ثلاثة الاف باون استرليني ، فآخذ شيلى على عاتقه امر تدبير هذا المبلغ لصديقه الكبير . ثم قبل شاكرا عرض غودون بان يستضيفه في بيته لمدة ايام . كانت هذه فرصة سعيدة تمكن شيلى من الابتعاد عن جو بيته الكتيب .

في بيت غودون وجد شيلى عائلة ذات تركيب غريب حقا . ففي سنة ١٧٩٧ توفيت زوجة غودون الاولى : ماري ولستون كرافت M. Woliston Craft على اثر ولادتها لطفلتها الاولى منه واسمها (ماري) ايضا . وكان لزوجته هذه ، بنت غير شرعية

من عشيق فرنسي هجرها ، قبل زواجها من غودون ، واسم البنت (فاني) ولدتها امها سنة ١٧٩٤ . طلبا ماتت الام على اثر الولادة ، بقيت (فاني) مع اختها من امها ، في بيت غودون ، اذ اخذته الرحمة بها واعترن ان ييراعا مع اخنها ، وانتسبت اليه ، وصارت تدعى (فاني غودون) . ورأى غودون انه في حاجة الى زوجة تقوم بالعناية بالطفلين فتزوج من (السيدة كليرمونت) . وكان لهذه السيدة من زوجها الاول ولد اسمه (تشارلز) وبنت اسمها (جين) ، جلبتها معها الى بيت غودون . وفي سنة ١٨٠٣ ولد لها من غودون طفل سمي (وليام) . كان وضع (فاني) في هذه الاسرة صعبا جدا . فلا شيء يربطها بانفرادها غير امها التي ماتت ، وتركها غريبة بينهم . ثم انها بنت غير شرعية .

لقد كتب عليها العذاب منذ يوم مولدها . دخل شيلى دار غودون ، وتعرف بافراد الاسرة وما كاد يصبره يفتي بصبر ماري غودون (وكانت وقتئذ قد بلغت السابعة عشرة من العمر) حتى فقد صوابه ، لقد سلبت له من اللقاء الاول . كتب صديقه الروائي بيكوك Peacock يقول واصفا شيلى في هذه الفترة (لم اقرأ في الروايات الخيالية ، ولا في التواريخ الواقعية صورة صاعدة لمعاطفة حادة لا يمكن ضبطها ، مثل تلك التي وجدت شيلى واقعا تحت تأثيرها ، حين ذهبت اثورة بناء على طلبه سنة ١٨١٤ في لندن) .

كان هم شيلى ان يتزوج (ماري) ، لكن زواجه (بهاربيت) يجول دون ذلك ، فما العمل ؟ اندفع ذات يوم نحو دار غودون ، شاهرا مسدسه (وهو بالمناسبة يحسن الاصابة بالمسدس) وهدد بانه سيأخذ حبيبته بالقوة ، اذا لم يسمح لها بمرافقته !! وحين فشلت هذه الخطة ، فكر بطريقة أخرى .. حبس نفسه في داره والنهم مقدارا كبيرا من الاميون غاغمي عليه ، وبقى طريح الفراش اياما ! اقتنعت ماري باخلاص شيلى ، ورضيت بالحل الذي توصل اليه ، وفي ليلة من ليالي حزيران ، غادرت دارها خفية ، واتجهت مع شيلى الى فرنسا بعيدا عن الوطن والاهل .

لقد شهد شهر حزيران ١٨١٤ اجتماع زعماء اليمين الاوروبي في لندن ، وهو يضم القيصر اسكندر ، ومترنيخ ، وبولوخ ، كانوا يحتفلون بانتصارهم على نابليون بونابرت . وكانت هزيمة نابليون مناسبة ضخمة هيأت للسياح الانجليز فرصة زيارة باريس التي حرموا منها ، منذ قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ . وبين هؤلاء السياح كان شيلى وماري غودون . لكن ماري لم تكن الفتاة الوحيدة التي خرجت تلك الليلة من بيت غودون ! فقد اصرت (جين) ابنة زوجة ابيها ،

على مرافقتها في رحلتها ، لسببين أولهما انها تعشق المغامرات ، وثانيهما انها تحسن الفرنسية !! وكانت تلك الرحلة غرصة أبت أن تفقدها .

أسرعت السيدة كلير مونت في اثر الهاربين ، وهي تنوي إعادة ابنتها (جين) الى البيت . وأفلحت في اللحاق بهم لكن طيش كلير (جين سابقا) منعهما من أن ترى الهوة السحيقة التي توشك أن تقع فيها . ورفضت بمئات أن تصفي إلى نصائح والدتها . فاضطرت هذه أن تمود من حيث اتت وحدها .

وأخيرا وصل شيلى وماري وكلير ، الى باريس التي كانت قد سقطت قبل أشهر بيد المتحالفين من الحكام الأوروبيين . وكان نابليون قد نفي الى (البيا) . وجد شيلى نفسه في موقف لا يحسد عليه ، بعد وقت قصير من وصوله الى باريس . فقد نفذ ماله ، ولم يعد يدرى كيف يعيل الأسرة التي شاء له هـواه أن يكونها ، فلم يجد بدا من قطع الرحلة ، والعودة الى ارض الوطن .

لكن (غودون) أغلق بابيه في وجه ماري وشيلى ، متناسيا تماما مبادئ الحب الحر ، التي كان ينادي بها دائما ، والتي حققها بالفعل في أيام شبابه ، فلفظ عاشق مع ام ماري مدة ، دون زواج ، بعد أن هجرها عشيقها الفرنسي ، ثم ارتضى لنفسه أن يتبنى ابنتها غير الشرعية (غاني) وينسبها الى نفسه . وهاهو الآن يقف موقفا آخر ، لا ينتظره منه شيلى ولا ماري .

اضطر العاشقان الى التفلن من مسكن إلى آخر ، هربا من الدائنين ، وازدادت الأمور سوءا بمرض شيلى في هذه الفترة . لكن الأشياء تغيرت في أوائل سنة ١٨١٥ ، فلفظ توفى السير (بيشيه شيلى) تاركا وراءه ثروة تقدر بمائتي الف باون استرليني . وبعد مغاورة قصيرة بين شيلى ووالده تيموثي ، حصل الفتى على مرتب سنوي يبلغ ألف باون استرليني . وبذلك انتهى عهد المتاعب المالية . وانتقل شيلى وماري الى مسكن مريح .

لم ينقطع شيلى بسبب أحداث هذا العام ، عن مطالعته الواسعة النوعة الا ان شعره نضب ، ولم يكتب شيئا طيلة سنة تقريبا . لكن الإلهام عاد معه استقرار حياته العائلية . وبعد نزهة ممتعة قام بها مع ماري والشاعر بيكوك ، وتشارلز كليرمونت مـسي قارب مخر بهم نهر التيمس حتى منبعه ، كتب شيلى قصيدة جميلة ، تذكرنا بقصيدة توماس غراي المعروفة (برشية في مقبرة ريفية) . وتبدو تأثيرات طبيعـة مقاطعة سانسكيس ، بمسقط رأس الشاعر ، في هذه القصيدة بشكل متيز . وهذه التأثيرات هي التي ينبغي أن نثير اهتمامنا ، وليس علاقة شيلى بأبيه ، تلك العلاقة التي انقطعت منذ سنة ١٨١١ بعد أن طرد

شيلى من الجامعة . اذ لم يسمح لشيلى بدخول منزل اهله بعدها أبدا !! وكان حين يأتي ليفاوض والده حول الشؤون المالية ، يقف خارج المنزل طول الوقت الى أن تنتهي المفاوضات ، فيعود من حيث جاء ، دون أن تطأ قدمه عتبة الدار .

وفي هذا العام ايضا ١٨١٥ ساعات صحة شيلى ، وقد خيل لاحد الأطباء القديرين ان شيلى يتعرض لمرض السل ، فلا عجب ان يصاب الشاعر بكبـة شديدة ربما كانت هي الدافع الأول لكتابة قصيدة مطولة بعنوان الاسـتر Alaster وكانت قصيدة رومانتيكية حزينة ، وستحدث عنها ، وعن شعر شيلى كله في فصل خاص منفرد . الا ان ما يهمنا هنا ، هو ان الطبيب سرعان ما اكتشف خطأه . وظهر ان شيلى سليم وليس ثمة خطر يهدد صحته .

في سنة ١٨١٦ وضعت ماري طفلها الأول (تشارلز) ، لكن غودون اتخذ من هذا الحادث ذريعة لابتزاز أموال اضافية من شيلى . لقد راح يستطد في الماء العكر ، مستغلا عدم وقوع الزواج بين ابنته وشيلى ، فكان يكتب ماري مطالبات اياها برسـال مزيد من مال زوجها (الذي لا يستحي) الله ، مع ان شيلى وحيه في تلك السنة وحدها ، بلغ ألف باون استرليني! كان غودون أبرع الناس في صياغة النظريات ، اما في الحياة الواقعية فكان انسانا خائبا ، ما يكاد يخرج من ورطة واحدة حتى يقع في أخرى اشد منها ! وقد وجد كثرًا لا ينضب ماري في شخص شيلى الذي لم يعرف يوما ان بابيه للمال .

الصديقان :

لم تكن تلك ، هي كل الاعباء التي تحملها شيلى من أجل غودون واسرته . هذه المرة كان عليه ان يلتفت الى مشاكل جين كليرمونت او (كلير) بحسب اسمها الجديد . وقبل ان تدخل في تفاصيل حياة « كلير » بحسن بنا ان نحول مجرى الحديث نحو جهة ثانية . ذلك ان الشاعر اللورد بيرون سيكون له شأن كبير — من الان فصاعدا — في حياة شيلى واسرته .

كان بيرون — في السنوات الثلاث الاخيرات — قد فاز بشهرة بدوية وصفا هو ، بشكل دقيق حين قال : (استيقظت ذات يوم فاذا بي اشهر الناس) ! وربما يعده كثير من الناس رجلا مظلوما جدا فهو شاب وسيم ومن عائلة ارسـتراطية عريقة ، وكان يسـده ثروة طائلة لا يدرى كيف ينفقها . وكان فوق ذلك كله ذا جاذبية خارقة تحببه الى صنف خاص من النساء ، فكان يتهاقن عليه بل يقعن في حبه على السباع . لكن صورة بيرون لن تحتفظ بكل هذا الاشراق ، حين يتهاقن للانسان ان يقترب منه . فلفظ كان ذا شخصية

غريبة او بتعبير ادق : فظيمة . كان نيتوچبا نادرا للانسان المتقدم على كل القيم الخلقية التي تصطلح عليها المجتمعات ، وكان همه ان يخرج ، يتهرب على تلك القيم ببرود مربع ، ضاربا بكل شيء عرشي الحائط . يقول علماء النفس ان العرج الخفيف الذي اصاب ساقه في الطفولة ، والذي اهلته والدته شأنه بقلة مبالايتها ، هو المسؤول عن تكون تلك العقدة النفسية لديه . عقده كانت ان يصنع كل ما ينفر منه المجتمع ويستنكره ويشمئز منه ! وفي ذات يوم لم يعد الراي العام في بريطانيا يتخيل تصرفات شاعر بريطانيا الشهير . واذا به يصدر حكما قاطعا : (يطرد بيرون من الجزر البريطانية كلها) كان عليه ان يذهب الى اوربوا منفيا .

وهكذا غادر اللورد بيرون بريطانيا سنة ١٨١٦ دون ان يبدو عليه انه نادم او اسف .

وفي هذا الوقت كان شيلي وماري قد خططا لرحلة استجمام قصيرة الى ايطاليا . لكن (كلير) اتعتنا بتحويل وجهتهما نحو سويسرا ، حيث كان بيرون ينوي ان يمضي فصل الربيع .

لقد كتب لكثير ان تكون احدي اولئك النساء اللواتي بهرت اعينهن (اسطورة) بيرون ، فاندفعت اليه (وذلك قبل ان يطرد من وطنه) . واستمرت علاقتها به شهرا واحدا حسب ، واختم الفصل البارد بسام بيرون وتهربه منها . كان ذلك حينه مع جميع المتاهات عليه . ولم تجن « كلير » من مغابرتها معه سوى الحسرات . وحين عاينه شيلي - بعد ذلك - وتحدثا عنها قال (ولكن ماذا بوسعي ان اصنع مع امرأة انطلقت تنشي امامي مسافة ثمانمائة ميل ! لاجدها في كل مكان اذهب اليه . ثم تتبعتني ركضا لمنعني من ان امثل دور الفيلسوف) !!

وقع اللقاء الاول بين اكبر شاعرين بريطانيين في ذلك العهد ، سنة ١٨١٦ ، في شهر ايار ، ببلدة (جنوا) بسويسرا . وعلى الرغم من الاختلاف الجذري بين شخصيتي هذين الرجلين فان كلا منهما وجد عند صاحبه ، الشيء الذي يفتقده عند الآخرين جميعا . لقد كان هناك امور كثيرة الفت بين نفسيهما ، فتوطلدت بينهما صداقة غريبة رسخت جذورها مودة صافية خضنة ، لم يشبها كدر ، حتى وفاة شيلي . كان شيلي في الثامنة والعشرين من العمر ، وبيرون في الثامنة والعشرين . وكل منهما قد غادر وطنه إنجلترا توا ، وهو يحمل ذكريات بريرة اشدها ايلانا ، ذكرى زواج فاشل . ثم ان كليهما يتحدر من عائلة ارسقراطية عريقة ، لكنه نائر على طبقة ، حريص على النسل ضدھا ، مع الطبقات المسحوقة . ومن جهة اخرى كان

كل منهما رومانتيكي النزعة ، طبيعي المذهب ، يؤمن بالفلسفة التي نادى بها الطبيعيون وفي مقدمتهم جان جاك روسو . وكان لدى كل منهما نزوع الى التبرد ضد كل ما هو جاد ومزني ورونتني .

تلك كانت دواعي الالفة او المودة التي جمعت بين هاتين النفسين الجامحتين ، ومع ذلك فان جوهر الشخصيتين لم يكن متماثلا ، بل العكس هو الصحيح . فلقد عرف عن شيلي رقة الطباع والرغبة اللاهية في مد يد العون للذين يتعوق في ضيق ، وكان مؤمنا بالمعادلة ، همه الاول ان يرى الظلم منحسرا عن وجه الارض . ومسرحياته جميعا تدور حول هذه المعاني . كان يحب ان يري الناس يرغولون في حلل السعادة ، ويبدل ما في طوقه من اجل تجميل الحياة . وكان عميق الايمان بالخير والتقدم ، شديد الثقة بفضل العلم وقدرته على تحسين شروط حياة الناس .

اما بيرون فقد كان شيئا اخر نباحا ، الكراهية هي الشعور الاول الذي يحسه نحو الناس ! او ذلك - على الاقل ما كان يتظاهر به - وكان همه ان يجرح مشاعر الذين يحيطون به - بن فيهم الذين يهتبون به - ويقابل آلامهم ومساكينهم ببرود قاتل ، وسخرية فظيمة . بل لقد اشتهر بتلك السخرية ، وكانت المرارة تطبع جميع مشاعره الموجبة الى الناس . وكان يفخر بأنه رجل جاحد لكل القيم ، يستهزي بجميع المثل الخلقية يدوسها بقدميه كلما وجد مناسبة ، ليشير بذلك غيظ الناس وحقدهم عليه . ولم يعرف عن بيرون انه مال الى رجل اطلاقا اذ لم يكن له اصدقاء - باستثناء شيلي - فلقد وثق به ، ولم يحدث ان وقع بينهما ما يعكر صفو المودة التي جمعتهما ، حتى وفاة شيلي سنة ١٨٢٢ . حينئذ صرح بيرون بما لشيلي من تأثير في نفسه قائلا (كان شيلي ارق الناس ، ولقد فقدت بوفاته كل ما يمكن ان يجعل الوجود محتلا) .

سعد شيلي بقاء بيرون الشاعر الذي باع اكثر من عشرة الاف نسخة من كتابه في يوم صدوره ! وكان لشيوخ جبال الالب وسحر مناظرها تأثير هائل في نفس كل منهما . قال شيلي يصف انطباعاته (لم اعرف ايدا ... لم انصور اطلاقا من قبل ما هي الجبال الكبيرة . ان ضخامة هذه القيم لتثير ، بانفجارها بفتة امام العين ، عاطفة انتشاء او دهشة بعيدة عن الجنون !) . لقد وجد هذان الباحثان عن كل غريب ، الكثير ما يحرك نفسيهما بين تلك السلاسل الجبلية السامقة ، لا سيه عند ضفاف بحيرة جنوا ، المكان الذي كتب فيه جان جاك روسو احدى رواياته الشهيرة . وخلال رحلة الثمانية ايام بالغارب ، شهدا اغلب مغائن البحيرة ، ومثلما وقع



بقايا الشمس الفاربة تنكسر على
الجدران الطينية الواطئة . لماذا
تقاصر خطوات حباري ؟ أحس
بالتعب ؟ حبله ثقيل ؟

برزت في ذهني صورة هنداي :
— حبلتي ثقيل . سبعة أطلسان
وزوجتي . من أين اطعم هذه الأنواء ؟
لم أجد عملا في أي حقل . ليس في
الفيضان عمل لي ولعشرين غيري ؟
لا بد أن العمدة حرض أهل القرية
على ألا يعمل في حقولهم . تناهى إلى
مسممي صراخ مشروخ . تلفت حولي
في حيرة . ماذا حدث ؟ سقطت
جاموسة في بئر ساقية ؟ مات أحد ؟
تشاجر رجل مع زوجته أو ابنه !
وقع بمصري على زحام تكاد تلتصق
فيه الأجساد عند الهدار . ضربت
قذمي في بطن الحمار . اثار وراءه
عاصفة من الغبار والتكهات :
— ماذا هناك يا جماعة ؟

— العبيط .. أراد أن ينتحر .
العبيط ؟ يرددون كلام العمدة ؟
صدتوا أن هنداي مجنون ؟ كيف
يشاركون في الإشاعة التي يروجها
العمدة ؟ لا بد أن هنداي أراد أن

لبطلي رواية روسو ، فإن عاصفة عاتية هبت عندما
كان شيلي وبيرون في القارب ، وكادت تؤدي بحياتهما .
لم يكن شيلي هو المستفيد الوحيد من لقاءه
ببيرون في سويسرا ، وإنما يمكن القول بأن الشهرة
الادبية التي ستحصل عليها ماري غودون بعد هذا
التاريخ ، سيكون لبيرون فضل في خلق أسبابها . فكيف
كان ذلك ؟

ذات مساء مخلوك الظلام ، وكان الحديث يدور
بين بيرون وزواره — وفيهم شيلي وماري — عن
الإشباح وغرائب الخلق ، اقترح بيرون أن يؤلف كل من
الحاضرين ، رواية حول موضوع الإشباح ، ولم يكثر
في خلد ماري إطلاقا ، أي اقتراح سعيد سيكون ذلك
بالنسبة لها . لكنها بعد أيام ، اكملت أغلب مصول
رواية غريبة ، أطلقت عليها اسم (فرانكشتاين) ،
اثارت إعجاب كل من اطلع عليها ، كتبها بطريقة
الأساليب الغوطية التي تميز كثيرا من روايات ذلك
العهد ، دون أن تعرف ما كان مقدرا لها من نجاح . لكن
الذي حدث أن هذه الرواية اثارت ضجة كبيرة في
الوساط الادبية والعلمية مما هيا مؤلفها ماري غودون
شهرة ادبية لم يذق شيلي طعمها أثناء حياته . ولم
تشفع له جميع مؤلفاته الشعرية الرائعة ، التي نشرها
متتابعة في فترة قصيرة لا تزيد عن الست سنين .
ولا عجب فقد كان ثوريا (1) .

— البحث صلة —
احسان المسالكة



(1) ترجمت الكاتبة هذه الدراسة عن الشاعر شيلي بجميع حلقاتها
Shelley, His Thought and Work. :
من كتاب :
By: Dismond King - Hele



عبد العزيز
الشناوي

يقول شيئا . تظاهرا انه سيلقي
بنفسه في النهر .. لكي يتجمع اهل
القرية حوله .. ثم يحدثهم عن
الاعيب العمدة .

تخلخل الجدار البشري . اطلت
نورا زوجة هنداي :

— اين هو ؟ لماذا لم تتركوه يلقي
بنفسه في الهدار ؟ كل مرة
يهددنا .. اها ان يبحث عن عمل
ويسد افواه الاطفال الجائعة او يذهب
في ستين دية .

من الذي اخبرها ان هنداي كل
مرة يهدد بانة سيقتل نفسه ؟ الخبرا
هو بذلك ؟ كيف ؟ لا احد يعرف هذا
السر سوانا ..! لكن الا يجوز ان
وجهي يا بطل . انا بطل ؟ اهل القرية
يكون لسانه قد افلت و .. ؟ تعلق
عيناى بشفتى هنداي الضامرتين .
هز راسه . ادرك ما ارى اليه ؟ اول
امس قال لي :

— لا بد ان ننقص حياة العمدة
كما ننقص علينا حياتنا .

ترجلت حماري . اقتربت من سور
الهدار الاسنتي . اصيبت على
بعد خطوتين من هنداي . كلما
قابلني يتنهد . ييمق في قرف !
— لماذا لا يسير لنا العمدة القوت
الضروري ؟ انا على استعداد ان اعمل

من شروق الشمس حتى غروبها
واكل بالبطانة انا واولادي .

اندفع سبعة اطفال انصاف عرايا
نحو هنداي . احتضنوا ساقيه
وجسده الهزيل .

— دمرداش الكلب رفض ان اعمل
عنده كلالا . لم يقبل ان ازرع فدانا
من ارضه الواسعة اغرق باب سيارته
في وجهي . صرخ .. اغرب عن
يقولون اتني جرادة . استطيع ان اعد
ضلوعي بالواحد . نصف جسدي
كرش بلوه طحال ضخم .

هشم السكون صوت العمدة :
— اين هنداي بن شلباية ؟ ليس
في القرية سواء ؟ كل يوم يعمل لنسا
ضجة ؟

حط الصمت من جديد . زحف
بصري نحو اعمدة التليفون . عدت
انظر الى هنداي . لماذا نكس
راسه ؟ ما سر هذا التحول الغريب ؟
اعلن استسلامه ويساه ؟ اين
الشراسة التي تتوالت في عينيه و .. ؟
انا اعرفه منذ ان كان طفلا . يحب
من القول اصدقته . من العمل
اوضحه . يحب الحق . يسعى اليه .
لماذا سكنت الان ؟

كان ابي يقول :
— القط ينكبش ثم يقفز على
فريسته .

تقدم هنداي من العمدة . شدد
قائمه . دفع اولاده السبعة نحوه .
في ضيق :

— هات لي عملا . اولادي يريدون
ان يمشوا . ارميهم الى الكلاب ..!
— ماذا تقول يا بن شلباية ؟

— لقد سمعت قولي . اول مرة
تسمع مثل هذا الكلام ؟ ماذا ستفعل ؟
سوف تقبض روحي ..

انقطع المدة بن شفتيه ابتسامة .
تلفت حوله . نسي ان اهل القرية
حوله ؟

— كل عرق ينتمى الى اصله . كان
ابوك طويل اللسان . لا يثر السقط
برتقالا .

— المساح كريم يا حضرة العمدة .
هنداي لا احد يحاسبه على قول .
طول عمره كلامه تخريف في تخريف .

ومن الجائز ان يكون جوعان .
من صاحب هذا الصوت المرسع ؟
لا بد انه عطوان بن رمانة الخفير ؟

الخفراء والملتصقون بالعمدة
يرددون قوله :
— هنداي عنده لطف .

يريدون ان يدخلوا في رؤوس اهل
القرية ان هنداي مجنون ؟ انا اعرفه
عقله بزن قرية باكلها . لاته يختلف
عن اهل القرية المخادعين واللصوص

يسمونه بالبييط ؟
صرخ هنداي :

— يعني انا مجنون يا ابن رمانة ؟

لبثني كنت كذلك . على الاقل لا افكر
ولا اشاهد المهازل التي تجري في
قريتنا .

اشار العمدة بسبابته نحو صدره :
— اتنين احد خفرائي اجابي . يا
هنداي ؟

— ألم تسبح ماذا قال ؟
— لقد نطق بالحق .
— لماذا .. ؟ انا رجل مجنون ؟

— احمد الله انني لم ارسلك الى
السراية .

انطلق صوت نساىي :
— اسم الله عليك يا هنداي ..
ربنا يشفيك يا ابي .

— ابتمس العمدة :
— رغم ذلك . كل شيء في قريتنا
يسير على ما يرام .

هنداي دانها يقول :
— لا شيء في قريتنا يسير على ما
يرام . العمدة يحيى اللصوص . لو

عارضهم او حاول التخلص منهم لن
يؤيدونه في الانتخابات . سوف يأتون
بعمدة جديد .

العمدة يستطيع ان يصرخ في وجه
السبع فيصير فارا . لكنه لا يستطيع
ان يكح مع هنداي . عندما تقابل

عيناه عيني هنداي يخضر وجهه
ويصفر :

— اذا كان العمدة يظن انه يهلك
بيتنا من الطوب الاحمر والاسمنت فانا
اعرف انه من زجاج . خفاياه تحست

ابطي .
جرت يدي على رقبة حماري .
العمدة يحب العمى ولا يطبق رؤية
هنداي :

— زعم العمدة انه سوف يلقي
بدمرداش وكرم وراء الشمس . اصبح
احدها شيخ بلد والاخر شيخا

للخفراء .
— سوف يخرسك العمدة دون
ضجيج كما سمعت .. كن خذرا .

— بعض ضعاف النفوس يقولون
معاركنا معه كلها هزائم ولكني على
يقين ان المنكوبت سينفذ بعض
اذرعه . الذي يصنع الموت بابناء

القرية سوف يلحق به الموت .

عقد هندواي بيده على صدره .
تصلبت فكاه .. ذات يوم همس في
أذنه :

— ربما ضاقت صدر العمـدة
بافعالك واقوالك فيلقى بك فـسي
الدوار .

— قالوا يا قرد مصحك سوف
يسخطك .. الحياة تغرف على باب
الدوار .. العدة وبطافته حرموا
القرية من خيراتها واستاثروا بها
دوننا .

الظلال تزحف على الدور الواطئة ،
بقايا شمس الغروب تتألق على
الادوار العلوية من سراي كرم . ليلة
ما كنت اشرب الشاي مع هندواي :
— اصبح في قريتنا اغنياء قليلون
وقراء كثيرون .

اسراب الحمام تحوم في سماء
القرية . ذات يوم قالت جنتي :
— الذئاب تأكل الخراف . تترك
الامعاء والفضلات للطيور .

الماء يتدفق من الهدار . الكلمات
تغادر الشفاه في تكاثر . اشعل
العمدة سيجارة فاخرة . منذ اسبوعين
هدد هندواي بسب لثر جاز على
جسده واشعال النار فيه .

اقبل اهل القرية . صرخ فـسي
وجوههم :

— كم واحد في القرية مثلي ليس
في داره رغيث عيش واولاده عرايا ؟
مائة .. الف .. مليون ..

جميع له اهل القرية كيلتين تمـح
وجنبها .

— ماذا افعل بجنه ؟ اشترى كيله
ذرة ؟ اشترى لسي جلبابا .. لا لا
سأبتاع نصف كيلو لحم اسد بـسه
قلوب العيال .

وجه العدة ساكن . منذ طفولتي
بضايقتي سطح الماء الساكن . لفظ
كلمة من الدخان .

— كف يا هندواي عن اعمال
الهومس التي تقوم بها ربنا يهديك . لا
داعي لان تخلق من الامور التافهة

مشاكل كبرى . تقبم الدنيا وتقعدها
من اجل اشياء بسيطة ؟

— توفير لقمة العيش . الدواء
الذي يسكن الالم والامراض التي
تفري في اجسادنا امور تافهة ؟ السم
تعدنا بانك ستطعم الجائع وتعين
العائل وتساعد المحتاج ؟ اين كل هذا ؟
ازداد الغني ثراء والفقر فقرا .

— عيب يا هندواي . لا ترفع
صوتك . تذكر انك واقف امام حضرة
العمدة .

— ليس على هندواي حرج يا
جماعة .

— كلنا نعرف هندواي .. ربنا
يشفيه .

جرت اسناني . لو كان الامر
بيدي ؟ لقطعت السنة هؤلاء
« الحياطينة » لولا هذه « الشخايل »
التي تسير في ركاب العمدة .. ماذا
يغفون ؟ .. يريدون ان يخرسوا لسان
هندواي ؟

نظرت نحو الهدار . لم يتوقف
هدير الماء من ابوابه الحديدية . انتقل
بسرري بين عيني العمدة وترى
الشمس الغارب . يقرض برفق شباريه
بين اسنانه ، وضع يده على كتفي
الخفيين . همس في اذانها بكلمات
خافتة . ماذا قال لهما ؟
صاحا :

— هيا كل واحد على داره انست
وهو .

لم يتحرك احد . هوت خيزرائتها
على ظهور واكتاف اهل القرية
واجسادهم بلا تمييز . انصروا امام
الخفيين .

لماذا يكره العمدة ان يرانا واثنين
في جرن او جالسين على احدى
المصاطب حول هندواي ؟ ينقض علينا
كما ينقض الصقر على العصافير .
يخشى ان يخرس هندواي عليه اهل
القرية ؟ يثير النفوس ضده ؟

هرش سلاية الجزار قفاه . في
المصباح كنت اسير مع هندواي امام
دكانه . كان يذب عجلا . مصمص

هندواي شفثيه .

— كيف لانت رقاب اهل القرية

للعمة ؟
عبد الخفيران الى التهديد .. ثم
الحالية .. ظل بعض من اهل القرية
واقفين . طعن العمدة هندواي بنظرة
شوكية . ادار ظهره . سار مخفيا نحو
جحشته . غمز بعينه الى احد
الخفيين .

— لا ادري الى متى سأصبر على
افعالك واقوالك يا بن شلباية ؟ اذا لم
تلتزم حدودك سوف اؤدبك .

العمدة يهدد هندواي ؟ فرغ صبره ؟
اول مرة يتنوه بهذا القول . ماذا
سيفعل ؟ سيلقي به في الدوار وتنهال
الكرايح على جسده الهزيل و.. ؟
سيرسله الى الخائكة ؟

اندفعت نورة وراءه .. متوسلة :
— ينجيك من كل شيق يا حضرة
العمدة .. خذ عندك كلافنا او ..
— نجوم السماء اقرب له .

— اعمل الطيب وارميه فـسي
البحر .

— يبدو ان الطيب لا يصلح مع
امثاله . لو كان جسده طويلا كلسانه .
امسك خفي براس الجحشة ..
وثب العمدة فوق البردة المغطاة
بقماش ابيض . قدم الخفير الثاني
اليه اللجام المفض .

ركبت بخاري . هو جسد في النهر
هرمت المعيون نحو الماء . لحمت
وجه هندواي بطنو فوق صفحته .
راحت يداه تضربان الماء باصرار
وعنف .

صرخت نواره :
— لماذا تتقون هكذا ؟ اليست في

قلوبكم رحمة ؟ انتقوا الرجل .
رقت على شفثي ابتسابة .
غافل عطوان بن رمانة اهل القرية
ودفع هندواي في النهر ؟ اهذا سر
تهديد وغزوة العمدة بعينه ؟ لكنني
اعرف ان هندواي يجيد السباحة .

عبد العزيز الشناوي

كلمة لا منها



خليلة الوقيان

قدرتها على نقل ما يجيش بصدر المخلصين من المستقلين بالملل الثقافي في الكويت أولا وفي منطقة الخليج العربي من بعد . ومن ثم في التفاعل والاندماج مع المسيرة الثقافية على امتداد الوطن العربي من خليجه الى محيطه .

ويضاف الى ذلك ان « البيان » مدعوة الى ان تكون حقلا لاستنبات المواهب الغضة ، وانتشالها من الفرق بين امواج الفوضى التي تتلطم على صفحات جرائدنا ومجلاتنا المحلية ، التي اسهمت في اغتيال كثير من الموهوبين الذين يمشون بالمعطاء الجيد الاصيل ، حين جرفتهم الى الالتحاق بجوقات النهريج او الفحالة وصرفتهم من ثم عن بناء انفسهم ، واكتشاف المواهب التي يجدر بهم ان يتوجهوا اليها .

ان امام « البيان » مهمات اخرى جلية . ولكنها تحتاج الى جهود كل المخلصين ، وكل الذين يمنيهم ان تزدهر الكلمة الحرة الجادة الهادفة . ولحسب ان هؤلاء جميعا مدعوون الان الى المساهمة في تحقيق الاهداف الجلية من خلال التعاون مع مجلته والتفاف بها .

خليلة الوقيان

بهذا العدد تستأنف « البيان » مسيرة ترحلها ان تكون امتدادا متطورا لمسيرتها السابقة — قبل المرور بالفترة الاستثنائية من عمرها التي استغرقت خمسة عشر عددا — .

ان الابتكار والاقتراحات التي يتداولها الزملاء في مجلس الادارة او هيئة التحرير بشأن تطوير المجلة قد تكون طموحة الى درجة تبعث في النفس التناؤل . ولكن من المعروف ان القضية لا تقف عند حدود مجلس الادارة او هيئة التحرير ، بل لا بد من تضامن كثير من الجهود ، حتى تتسكن « البيان » من تحويل الابتكار المطروحة عادة في الطريق الى واقع مجسد على صفحات الاعداد القادمة .

فالبيان بحاجة الى جهود الادباء والكتاب الذين يشعرون بالمسؤولية ، ويقدر دور الكلمة الهادفة ، والفكرة الجلية ، والدور الخطير الذي ينبغي للفكر الحر ان يمارسه في خضم التضليل والتشويش والفوضى التي تكتنف حياتنا الثقافية والفكرية .

ان المبررات الاساسية لصدر صحيفة تمثل رابطة الادباء في الكويت تكمن بالدرجة الاولى في مدى